لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان
سُراقة البارِقى

حقّقه وشرحه

حسين نصّار

ليسانس الآداب ، مع درجة الشرف
من جامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى
شوال سنة ١٣٦٦ — سبتمبر سنة ١٩٤٧

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان سراقة البارقي

حققه وشرحه

حسين نصار

ليسانس الآداب ، مع درجة الشرف
من جامعة فؤاد الأول

الطبعة الأولى

شوال سنة ١٣٦٦ — سبتمبر سنة ١٩٤٧

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

تقديم ، وتعريف ، وشكر

هذه أثارةٌ من كلام العرب ، من شعر سُراقةَ بن مِرْداسٍ البارقيِّ الأصغر ، ينشرها لأول مرة فى كتاب ، الأديب « حسين نصار » ، خريج كلية الآداب ، من جامعة فؤاد الأول .

ونحن فى مَسيس الحاجة إلى نشر هذا الديوان ، وأمثاله من دواوين العرب وأشعارهم التى لم تطبع ، وما أكثرها ! لأننا نريد التعمُّق فى درس الأدب العربى على المنهج الأقوم ؛ ولا يكون هذا إلا بإحياء الآثار الباقية ونشرها ؛ وكل محاولة لدراسة الآداب قبل إتمام الكشف عن النصوص والمتون ودرسها وتحليلها ، فهى محاولة غير مجدية ، لا تؤدى إلى تصور صحيح ، أو حكم سليم .

إن دراسة الآداب فى العصور الحديثة ، على ضوء المناهج العلمية السليمة المستشرقين والباحثين ، جعلت لكل ما يكتب الأدباء والمنشئون قيمة كبيرة ، فى تصور مذاهبهم وخصائصهم ، وتطور أفكارهم وفنونهم وأساليبهم . فلا يمكن الحكم على شاعر أو أديب إلا بعد الفحص الطويل عن كل ما خلف من آثار . وهذا منهج فلسفى صحيح ، يؤدى إلى نتائج صحيحة ولا ريب . ولذلك شمر العلماء والباحثون والمنقبون ، للكشف عن آثار الأدباء ، وإبرازها للعيون ، وتقريبها من الأيدى ، وكان لأساتيذ الجامعات الأوربية فى العصور الحديثة ، فضل السبق إلى إحياء آثار العرب والمسلمين ، فعُنوا بنشرها وطبعها ، ووصلوا فى تحقيق ذلك إلى غاية لم يصل إليها الشرقيون المشتغلون بنشر التواليف العربية فى هذا العصر .

حقيقة مؤلمة نعترف بها على أنفسنا وأهل زماننا . أما القدماء من أسلافنا فقد أبلَوْا فى أداء هذا الواجب العلمى ، على أدق المناهج وأوضح الخِطط ، فلم يألوا جهدا فى جمع دواوين العرب وأشعارهم وكلامهم . رحلوا إلى البوادى ، ولَقُوا العرب ، وأنفدُوا أعمارهم فى تتبع

كلامهم ، وسماع لهجاتهم ، وتدوين أشعارهم وأخبارهم ؛ وأفرغوا فى ذلك مئات القِنِّينات من الحِبر ، وملئوا من الدفاتر والقماطِرِ أحمالا ؛ ثم عادوا إلى الحواضر ، فقرءوا وحققوا ودوّنوا ، وصنفوا وفنّنوا ، وخلّفوا ما لا يكاد يصدقه العقل من الكتب والتصانيف والشروح ؛ منها الآثار الباقية حتى يومنا هذا ، ومنها ما ذهبت به الحوادث ، فضاع ولم يصل إلى أيدينا ؛ ومنها ما حجبته عنا الأَثَرَة أو الإهمال ، وهو فى الدنيا موجود كمفقود ، وذلك ما حُبِس فى الخزائن الخاصّة أو شبهها ، أو عند من لا يَقْدُرُونه قَدْره ، ولا يُحِسُّون عائدته على الأمة .

والراغبون فى تحقيق تاريخ المدنيات الشرقية القديمة ، من العلماء المُحْدَثين ، لا يزالون فى طور البحث والتنقيب عن الآثار والأصول الأولى ، التى خَلَّفها جهابذة العلم ونقاده ، لأنها ضرورية لكتابة ذلك التاريخ على وجه يرضى عنه العلم ، على ضوء ما عمله الأوربيون من البحث عن أصول المدنيات القديمة ، وخاصة المدنيتين اليونانية والرومانية ؛ ولا يستطيع الدارسون أن يكتبوا تاريخ العرب وآدابهم ، قبل أن يظفروا بهذه الآثار الأدبية ، ويفرغوا من تحقيقها ودرسها ، على الوجه الصحيح .

لذلك كان حقا على المشتغلين بالآداب العربية فى العصور الحديثة ، أن يبذلوا قُصارَى جهدهم فى البحث والتنقير عن نصوص الشعراء والكتاب والخطباء والمؤلفين منذ عصر الجاهلية العربية ، وأن يجمعوا ما تفرق من ذلك التُّراث فى خزائن الكتب الخاصة والعامة ، من مختلف البُلدان ، وأن يتوفروا على دراسة كل أولئك ، ويستخرجوا منه نتائجه ، وحينئذ يمكن أن يوضع تاريخ أدبى عربىّ ، وإسلامىّ ، وعباسىّ ، وأندلسىّ ، ... الخ ، قائمٌ على أصول معتمدة ، ومقدمات صحيحة .

ومن حسن الحظ أننا نرى طلائع النهضة فى هذا العصر ، من المُنَقِّبين المُجِدِّين ، يظفرون بين حين وآخر بشىء من أصول الثقافة العربية والإسلامية ، وينشرونه ، فيضىء جانبا من تاريخ الثقافة والحضارة كان مظلما . والجهود الكثيرة الموفقة تبشر بأننا لا بد بالغون من ذلك ما نريد ، بفضل توجيه العلماء ، وازدياد انتشار التعليم الجامعىّ فى البيئات الشرقية .

وديوان سراقة البارقى الذى نقدمه لجمهور القراء بهذه الكلمة ، على ضآلة حجمه ، وقلة أشعاره ، هو صفحة من صفحات التاريخ السياسىّ والأدبىّ واللغوىّ ، فى عصر من أقوى عصور العرب ، إبانَ الحكم الأموى فى الشرق . ولذلك يحس فيه القارئ أسْرًا وجَزالة لفظ ، وقوةً وفخامة معنى ، مما وَرِثه الشاعر عن جيله . ثم هو صفحة من صفحات العُروبة ، تلمح فيها آثار البداوة ، وعَراقة المنشأ والمُربَّى ، الذى نشأ فيه الشاعر منذ كان . ذلك إلى مزايا أخرى فى فنونه ، كالوصف الذى تفوّق فيه على كثير من أمثاله .

وقد عثَر عليه الأديب «**حسين نصار**» التقاطا ، على ما بيَّنه فى مقدمته بقلمه . ويسرنى أن أقدم هذا الناشر الناشىء لجمهور قراء العربية ؛ فقد كان إلى عهد قريب جدا من طلاب الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وهو أول خِرِّيج فى قسم الليسانس من كلية الآداب هذا العام ، بدرجة الشرف . وهو شاب مجتهد جدير بتحمل أمانة العلم ، والاضطلاع بأعباء النشر الحديث ، فقد أخذ أصوله عن أساتيذه فى كلية الآداب ، واطلع على ما نشره الأوربيون من كتب العرب ، وعرف مناهجهم ، فكانت له ثقافة تمكنه أن يعمل فى هذا الميدان بنجاح . وقد عرفته طالبا دءوبا ، لا يمل العمل ، ولا يَبرَم بما يُحمَّل من جهد فى البحث والدرس والتحصيل ؛ وهو الآن على ما عهدته من محالفة للدرس ، وحب للعمل ، ملؤه الأناة والرغبة فى تذليل المشكلات حين يتصدَّيْنَ له ؛ بل هو فوق ذلك دائب على الاستزادة من درس اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، والفارسية والتركية ، لأنها من أكبر أعوانه على ما هو بسبيله من البحث والتحقيق .

ولا أحب أن أعرِض لعمله فى نشر ديوان سراقة ، بأكثر من أنه كان يَعرِض علىّ مَنهجه وخُطواته ، وأنا أوافقه على أكثر ما عمل ، وقد أخالفه فى بعض الرأى ، لا حبا فى المخالفة ، ولا عجزا عن التوفيق بين وجهتى النظر ، ولكن آثرت أن أحتفظ له برأيه ومذهبه ، ولم أرد أن أملى عليه رأيى إملاء ، لأُبقِيَ على شخصيته وحرية فكره ، كما عودته هو وزملاءه ذلك من قبل ، فى أثناء الدرس بكلية الآداب .

وليس نشره ديوان سُراقة إلا عملا أوّليا ، جرى فيه شوطا ، استعدادا للسباق فى الميدان . وأنا أتوقع منه عملا كثيرا ناجحا ، وأرجو له التوفيق دائما .

وقد قامت « لجنة التأليف والترجمة والنشر » بالإنفاق على طبع ديوان سراقة ، وتعهّدتْ بإذاعته ونشره بين قراء العربية ، تحدوها الرغبة الكاملة فى معاونة الباحثين والدارسين ، على تحقيق أغراضهم العلمية ، وخاصةً نشر المخطوطات القديمة ، من دواوين الأدب ، وأسفار التاريخ ، ومصادر الثقافة على اختلاف منابعها ، من شرقية وغربية . وأنا أزجي أجزل الشكر وأكمله ، بالنيابة عن ناشر الديوان ، إلى حضرات العلماء أعضاء هذه اللجنة الموقّرة ، على ما يَضْطَلِعون به فى تشييد ثقافة هذا الجيل من أعمال ، وما يبذلون من جهود وأموال . وأخُصّ بالشكر حضرة رئيسها العالم الجليل ، الأستاذ أحمد بك أمين ، صاحب الفضل الأول فى نشر هذا الديوان ؟

مصطفى السقا
أستاذ مساعد بكلية الآداب
(جامعة فؤاد الأول)

القاهرة فى { ٢٥ من شوال سنة ١٣٦٦
١٠ من سبتمبر سنة ١٩٤٧ }

بسم الله الرحمن الرحيم

١ — سُرَاقَةُ البارِقِي

لعلّ جمهور الأدباء والمتأدبين لا يعرف شيئا كثيرا عن سراقة البارقى ، فهم يجهلون أخباره ، كما يجهلون أشعاره ، اللهم إلا البيت والبيتين ، تندُر فى بعض كتب اللغة أو الأدب ، وأما شخصية سراقة ، وفنه الشعرى ، وتصرفاته فى الحياة ، فهى أمور مطوية ، لا يدرى عنها الناس إلا قليلا ، حتى القدماء أنفسهم تناسوا أخباره وأشعاره ، ولم يذكروه فى طبقته من الشعراء الوصافين أو الأخلاقيين ، الذين امتلأت بذكرهم كتب التراجم .

ولم يسبق لى أن قرأت قصيدة كاملة لسراقة ، حتى وقع فى يدى فى يوم من الأيام فهرس الآداب بدار الكتب المصرية ، فأخذت أقلب أوراقه ، فإذا بهذا الاسم يسترعى نظرى ، فأعطيه وقفة خاصة ، فأعرف أنه أحد الشعراء . ولم أدر من أى عصر هو ، أإسلامى أم أموى ؟

خطر لى بادئ الأمر أنه شاعر جاهلى ، وما أكثر الشعراء الجاهليين الذين لا نعرف غير أسمائهم ، على رغم دراستنا الأدب العربى الأعوام الطوال . ثم أخذ منى حب الاستطلاع كل مأخذ ، فطلبت الديوان ، فوجدته صغير الحجم ، من القطع المتوسط ، ثم قرأت مقدمته فعرفت أنه رواية محمد بن حبيب ، وأن سراقة ليس شاعرا جاهليا ، وإنما هو أموى . ثم قرأت شعره شيئا فشيئا ، فحبب إلى ؛ لأنى رأيت فيه من خفة الروح ، وجميل الأغراض ، ما شجعنى على المضى فى قراءته . وعندما فرغت من الديوان تبينت مقدار الخسارة التى لحقت الأدب العربى بإغفال دراسة مثل هذا الشاعر ، فرأيت أن أنشر هذا الديوان ، وأحيى ذكر صاحبه ؛ لأنه جدير أن يحيا ، وجدير أن يدرس ، وجدير أن يوضع فى طبقته مع من عرف من رجال الأدب العربى فى أزهى عصوره . وإن الخسارة لتظهر لنا جلية

عند ما نعلم أن سراقة من الشعراء الذين ناقضوا جريرا والفرزدق ، وعند ما نعلم أن له من القصائد ما استحسنه قُروم العرب وساداتهم .

عزمت على تعريف الأدباء بسراقة ، لإيمانى بجمال شعره ، وخفة روحه ، وارتفاع قدره ، وخاصة فى قصائده الطويلة . ولو أن سراقة كان شاعرا صغيرا لاستحق أن يتكلم عنه ، فالتاريخ الأدبى الكامل يعنى بالشخصيات الكبيرة والصغيرة ، لا يغفل منها شيئا ، لأن فضل الفاضل من الشعراء ، إنما يظهر جليا إذا وضع بجانب تقصير المقصر ، كالعين الحوراء لا يبين حسن بياضها إلا بجانب شدة سوادها ، وقد يكشف الشاعر الصغير من مزايا عصره مالا يكشفه الشاعر الكبير ؛ وإذن فدراسة الشاعر أمر ضرورى لإكمال التصور الشعرى للعصر ، وإنى أستشهد هنا بقول الأستاذ لاَسِل أَبِرْ كُرُمْبِى Lascelle Abercrombie فى كتابه « التطور فى الأدب » "Progress in Literature" ، إذ يقول : « حقا إن أردأ الكتب تعطينا أوضح انعكاس للميول والتأثيرات والعادات والتقاليد والحركات والمواد الأخرى القيمة لدى المؤرخ الأدبى » . ولكن آفتنا أو آفة تاريخنا الأدبى إهماله صغار الشعراء الإهمال الفظيع ، فكان تصورنا للعصور الشعرية تصورا ناقصا ؛ لأنه تناول عظام الشعراء ، وغض النظر عن صغارهم ، لقد سمعت أستاذا فى قسم اللغة الإنجليزية بالجامعة يقول : « أردت ذات يوم أن أعرف بعض الشعراء العرب ، فأخذت كتابا فى التاريخ الأدبى ، وجعلت أقلب صفحاته ، فوجدته يصف كل شاعر بالعبارة المأثورة : « أحد فحول الشعراء » ، كأن لم ينجب العرب إلا شعراء فحولا ؟ » . فكيف يُطلب منا تصور العصور الشعرية تصورا واضحا جليا ، ونحن لا نعرف إلا فحول الشعراء ؟ !

أرجو أن أكون بنشرى شعر سراقة قد أضفت إلى المعروفين من رجال الأدب العربى ثروة جديدة ، وكشفت عن شخصية نستطيع أن نصلح بها بعض الأحكام الأدبية القديمة ، ونضع الحق فى نصابه ، ونعطى الدارسين فرصة حسنة لتقدير شاعر كريم على الأدب العربى ، يستحق التقدير فى ميزان النقد الصحيح .

بحثت عن أخبار سراقة لأتبين من هو ؟ وما عصره ؟ وما مكانته فى قومه وعند أهل زمانه ؟ وجعلت أقلب كتب المحاضرات ، والموسوعات ، والمجموعات الأدبية ، والمظان

التي يرجح أن تكتب عنه شيئا ، أو تورد له من شعره بعض الأبيات ، فإذا بي أجد ظاهرة غريبة حقا ، هي إهمال القدماء سراقة إهمالا يكاد يكون تاما . فهو لم يرد له ذكر في معظم هذه الكتب ، والذي ذكره منها أشار إليه إشارة موجزة أشد الإيجاز ، كما نرى ذلك في كتاب الأغاني الذي أورد له مقطوعتين من شعره في تضاعيف ترجمته لشاعرين آخرين هما كثير وجرير . وكان أكثر من كتب عنه محمد ابن حبيب في مقدمات القصائد . وأخذت أسأل أستاذيّ والكتب ، حتى ظفرت بما أستطيع أن أسميه ترجمة بعد لأي وجهد .

سراقة هذا الذي أبحث عنه ، هو سراقة بن مرداس البارقي الأصغر . وهناك شاعران آخران يعرف كل منهما بسراقة بن مرداس ، ويميز أقدمهما بالبارقي الأكبر ، وهو الذي اشترك في حرب مع قريش ، حين قتلت قريش أبا أزيهر الدوسيّ ، فقتلت به الأزد جماعة من أشراف قريش ، وجعلت عليهم خرجاً كل عام ، غير من قتلت منهم ، وهو القائل[1] :

لقـد علمتْ بنو أسدٍ بأنّا ... تقحّمْنا المعـاشرَ مُغْلِمينا
تركنا تسعةً للطيرِ منهم ... بمكّةَ للسباعِ مطرّحينا
فلما أنْ قضَيْنا الدينَ قالوا : ... نُرِيدُ الصلحَ قلنا : قد رضينا
وضعنا الخَرْجَ مَوْظُوفاً عليهم ... يُؤَدُّون الإتاوةَ صاغرينا
لنا في العيرِ دينارٌ مسمّى ... به حَزَّ الحلاقِمِ يتّقُونا
ولولا ذاك ما عَدَلَتْ قريشٌ ... شِمالا في البلادِ ولا يمينا

وقد تُنْسَب هذه الأبيات لمُعَقِّر بن حِمار البارقي أيضا . ولم أجد لسراقة هذا ذكرا ولا شعرا في كتب الأدب المعروفة بين أيدينا .

ويشاركهما في الاسم شاعر آخر يسمى سراقة بن مرداس ، ويميز بالسُّلَمى ، نسبة إلى سُلَيم ، وهو ابن الخنساء الشاعرة المشهورة ، وأخو العباس بن مرداس الشاعر المخضرم المعروف . وسراقة هذا هو الذي يقول في يوم أوطاس من أيام غزوة حنين ، حين طاردته بنو نصر على فرسه الحقباء[2] :

---

(١) الآمدي : المؤتلف والمختلف ، ص ١٣٤ طبعة ١٤٥٣ هـ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١٣٥ .

ولولا اللهُ والخَقْباء فاظَتْ عِيالِي وهي باديةُ العُرُوق
إذا بَدَتِ الرماح لهم تَدلّتْ تَدلّى لَقْوَة من رأسِ نِيقِ

ولم يرد لسراقة هذا أيضا ذكر فى الموسوعات الأدبية .

أما سراقة الأصغر ، الذى نتحدث عنه هنا ، فهو سراقة[1] بن مرداس بن أسماء بن خالد ابن عوف بن عمرو بن سعد بن ثعلبة بن كنانة بن بارق . و بارق بطن من الأزد ، سميت باسم سعد بن عدى بن حارثة ، الذى اكتسب اسم بارق لنزوله جبلا بالسَّراة ، يُعرف بهذا الاسم . وسعد هذا — أو بارق — أخو خزاعة الذى نسبت إليه قبيلة خزاعة .

لم أستطع أن أعرف شيئا ، عن مولد سراقة ونشأته ، إلا مايمكن استنباطه من شعره ، وإنه لقليل ؛ وأظن أن كثيرا منه قد ضاع كما ضاع شعر غيره من الشعراء .

ويظهر لنا سراقة — أول ما يظهر — عام ٦٦ هـ محاربا للمختار[2] ، ثائرا عليه مع أشراف الكوفة ، بعد استيلائه على ولايتها بقليل . ولكن المختار لا يلبث أن يخمد الثورة ، ويقبض على زعمائها ، ومن بينهم سراقة ، فيأمر بحبسهم ، فيعتذر إليه سراقة ، ويمدحه :

ألا أَبلِغْ أبا إسحاقَ أنَّا نَزَوْنا نَزوةً كانتْ علينا
خرَجْنا لا نرى الضعفاء شيئا وكان خروجُنا بَطَرا وحَيْنا
لقينا منهمُ ضربا طِلَخْفا وطعنا صائبا حتى انْثَنَيْنا
نُصِرْتَ على عدوِّكَ كلَّ يومٍ بكلِّ كتيبة تَنعَى حسينا
كنصرِ محمدٍ فى يومِ بَدْرٍ ويومِ الشِّعبِ إذْ لاقَى حُنينا
فقبَّلْ توبةً منى فإنى سأشكرُ إن جعلتَ العفوَ دِينا

ثم يدعى أنه رأى الملائكة ، تحارب مع المختار — وهذا ما كان يزعمه المختار — وأن الذى هزمه وأسر قومه هم الملائكة ، الذين كانوا يلبسون الثياب البيض ، ويركبون الخيل البُلق ، ويحلِّقون بها بين السماء والأرض . وفى هذا الموقف تظهر سعة حيلة سراقة ودهاء المختار السياسى ؛ فسراقة يستغل آراء المختار ، ولا يكتفى بهذا ، بل يستغل أشياء أخرى ، فيقول للمختار بعد أن أمر بقتله : إنك لتعلم أنه ماهذا أوان تقتلنى فيه ؛ فيقول له المختار :

---

(١) ابن دريد : الاشتقاق . (٢) الديوان وكتب التاريخ .

فتى أقتلك ؟ فيقول : إذا فتحتَ دمشق ، ونقضتها حجرا حجرا ، ثم جلست على كرسى فى أحد أبوابها ، فهناك تدعونى ، فتقتلنى وتصلبنى . وهنا يظهر دهاء المختار السياسىّ ؛ فإنه لا يدع الفرصة تمر من بين يديه ، دون أخذ كل مايمكن أخذه منها ، فيردّ عليه قائلا : صدقت . ثم يلتفت إلى صاحب شرطته غاضبا ، و يقول : ويحك ؟ من يخرج سرى إلى الناس ؟ إذن فهذا سِرّ المختار ، و إنى لموقن أنه ليس بسِرّ له ، و إنما سُرّ من تبشير سراقة له بفتح دمشق ، وأحب أن يُعلِم من حوله هذه البشرى ، وأنها من نياته . ثم أمر سراقة بصعود المنبر ، والقَسَم أمام الملأ بأنه صادق فى رؤيته الملائكة . و إن فى هذا القسم لدعما لمزَعم المختار هذا ومزاعمه الأخرى أيضا . ثم عفا عنه المختار بعد أخذه كل مايريد منه .

هذه إحدى القصص التى ذكرت لنا ما كان بين سراقة والمختار . وهناك سياق آخر لهذا القصة ، مفصل تفصيلا كبيرا ، يختلف بعض الاختلاف عن السياق السابق ، ولذلك أُورده هنا من العقد الفريد (١) ، قال ابن عبد ربه :

« أُخِذَ سراقة بن مرداس البارقى أسيرا يوم جَبّانة السَّبيع ، فقُدِّم فى الأسرى إلى المختار ، فقال :

امْنُنْ علىّ اليومَ ياخيرَ مَعَدْ ياخيرَ مَنْ لَبّى وصلى وسَجَدْ

فعفا عنه المختار ، وخلى سبيله . ثم خرج مع إسحاق بن الأشعث ، فأُتِيَ به المختار أسيرا ، فقال له : ألم أعفُ عنك ، وأمنن عليك ؟ أمَا والله لأقتلنّك . قال : لا والله ، لا تفعل إن شاء الله . قال : ولم ؟ قال : لأن أبى أخبرنى أنك تفتح الشام ، حتى تهدم مدينة دمشق حجرا حجرا وأنا معكم . ثم أنشده :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا حملنا حملة كانت علينا

الأبيات .

فخلّى سبيله . ثم خرج إسحاق ومعه سراقة ، فأُخِذَ أسيرا ، وأُتى به المختار ، فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك ياعدو الله ، هـذه ثالثة . فقال سراقة : أما والله ، ما هؤلاء الذين أخذونى ، فأين هم ؟ لا أراهم ! إنا لما التقينا رأينا قوما عليهم ثياب بيض ، وتحتهم

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ١ ص ١٨٣ طبعة بلاق .

خيل بُلق ، تطير بين السماء والأرض . فقال المختار : خلوا سبيله ليخبر الناس . ثم دعا لقتاله ، وقال :

ألا مَن مُبلغُ المختار عنى ... رأيتُ البُلقَ دُهْمًا مُصْمَتَاتِ

أُرِى عينىَّ ما لم ترأياهُ ... كلانا عالمٌ بالتُرَّهاتِ

ولم أجد لهذا التفصيل أثرا فى كتب التاريخ ، فهى لا تذكر لنا خروج إسحاق بن الأشعث على المختار .

نجا سراقة بفضل ذكائه ودهائه ، فذهب إلى مصعب بن الزبير بالبصرة ، مع من ذهب من أشراف الكوفة ؛ وهناك هجا المختار ، ودعا لقتاله بالأبيات السالفة الذكر ، وفضحه فى العالمين . ثم لا أدرى ماذا حدث له بعد ذلك ، ولكنى أظن أنه ذهب إلى عبد الملك ابن مروان بدمشق ، ومكث هناك حتى مجيئه لقتال مصعب ، فخرج معه سراقة ، مصاحبا أخاه بشرا الذى عرفه هناك ، فاستظرفه وقرّبه . وعندما تولى بشر الكوفة ضمّه إليه ، وجعله أحد ندمائه وسُماره ، يتلاعبان ويتضاحكان ، كما تذكر لنا قصة السيل فى ديوانه . قال الراوى :

« قحِطَ الناسُ فى زمن بشر بن مروان ؛ فخرجوا فاستسقوا وبشر معهم ، فرجعوا وقد مُطِروا ، ووافق ذلك سيلا جاء من الليل ، فغرقت ناحية بارق وبنى سليم ، فخرج بشر من الغد ينظر إلى آثار المطر حتى انتهى إلى بارق ، فإذا الماء فى دار سراقة بن مرداس البارقى ، وسراقة قائم فى الماء ، فقال : أصلح الله الأمير ، إنك دعوتَ أمس ولم ترفع يديك ، فجاء ما ترى ، ولو كنت رفعت يديك لجاء الطوفان . فضحك بشر ، فأنشأ سراقة يقول :

دعا الرحمنَ بشرٌ فاستجابا ... لدعوته فأسقانا السحابا

وكان دعاه بشر صوبَ غَيْثٍ ... يُعاشُ به ويُحيِي ما أصابا

أغرُّ بوجهه يُسقَى ويُحيَا ... ونَستجلى بغرته الضَّبابا

ويظل سراقة طوال عهد المختار ومصعب وبشر ظاهرا أمامنا ؛ فيمدح إبراهيم ابن الأشتر عندما يقتل عبيد الله بن زياد عام ٦٧ هـ ، ويرثى أبا بكر بن مخنف حين يقتله

الخوارج عام ٦٨ هـ . ثم يحرضه بشر الذى كان مغرما بتحريض الشعراء ، وإثارة بعضهم على بعض ، حتى يتهاجوا ويتلاحوا ، ويمسك بعضهم بتلابيب بعض ، يحرضه على هجاء جرير وتفضيل الفرزدق ، فيقول قصيدته :

لِمَن الديارُ كأنهن سطورُ   قفرٌ عَفَتْه روامسٌ ودهورُ

ويقول فيها :

إن الفرزدق برَّزَتْ حَلَبَاتُه   عفوا وغُودِرَ فى الغبار جريرُ

ذهب الفرزوقُ بالفضائل والعُلَى   وابنُ المراغة مُخلَّفٌ محْسُورُ

وقد نسخ بشر القصيدة ، وأرسلها لجرير ، وأمره أن يجيب عنها ، فثارت ثورته ، ولم ينم ليلته حتى نظم قصيدته :

يا صاحبىَّ هلِ الصباحُ منيرُ   أم هل لِلَوْمِ عَوَاذلى تَفْتِيرُ ؟

ويقول فيها :

أَسُرَاقَ قد علمتْ مَعَدٌّ أننى   قدماً إذا كُرِهَ الخِيَاضُ جَسُورُ

أَسُرَاقَ إنك قد غَشِيتَ ببارقٍ   أمراً مَطَالِعُهُ عليك وُعُورُ

وهناك خبر آخر[1] عن سبب اشتباك سراقة بجرير ، يقول إن الذى حرّضه هو محمد ابن عُمَير بن عُطَارِد بن حاجب بن زُرارة ، الذى بذل أربعة آلاف درهم وفرسا ، لمن فَضَّل من الشعراء الفرزدق على جرير ، فلم يُقْدِم عليه أحد منهم إلا سراقة ، وكان ذلك سبب اتصال الهجاء بينهما . ويظهر أن وقت الخصومة لم يطل ، فإننا لا نجد فى ديوانه إلا قصيدتين يهجو فيهما جريرا ، كما أن جريرا لم يذكره فى ديوانه إلا نحو ثلاث مرات . وقد أَفْحِمَ سراقة حين سمع شعر جرير ، بل لا نلبث أن نراه مخاصما للفرزدق ، مغاضبا له ، مفضلا جريرا عليه ، يقول :

قد كنتُ أحسبُ يا بنَ قَيْنِ مُجاشِعٍ   أنْ قد خَصَاكَ فلا تَغِطُّ جرير

ولقد علمتَ على تَبَاغِيكَ الخَنَا   أنَ الخصىَّ إذا استُفِزَّ ذَعور

ويذكره فى مطولته :

إن الأحبةَ آذَنُوا بترَحُّلِ   وبصُرْمِ حبلك باكرا فتحمَّلِ

---

(١) أبو الفرج الأصفهانى : الأغانى (ج ٨ ص ٦٨ طبعة دار الكتب المصرية) .

حيث يقول :

فإذا تقبل ربُّنا من شاعرٍ　　فعلى الفرزدق لعنةُ المتبهِّلِ

وفى هذه الفترة أعتقد أنه مدح بشرا ببعض الشعر ، ولكن ذلك الشعر لم تبق منه إلا مقطوعة السيل .

ثم نسمع صوت سراقة آخر مرة عام ٧٥ ﻫ ينشد رثاءه عبد الرحمن بن مِخْنف الذى قتله قطرىّ بن الفجاءة :

ثوى سيدُ الأزدين أزدِ شَنُوءةٍ　　وأزدِ عُمان رَهْنَ رَمْسٍ بكازرِ

وقاتلَ حتى مات أكرمَ ميتةٍ　　بأبيضَ صافٍ كالعقيقة باترِ

وقصيدته :

إنْ يقتلوك أبا حكيمٍ غدْرةً　　فلقد تشُدُّ فتقتلُ الأبطالا

إن يُشْكِلونا سيِّداً لِمُسَوَّدٍ　　ضخم الدَّسيعة ماجدا مفضالا

ولا نسمع صوته مرة أخرى ، وإنما نلمح اسمه فى « البداية والنهاية » عام ٧٩ ﻫ فى قائمة المتوفَّين ، حيث يقول ابن كثير إنه هجا الحجاج ، وهرب منه إلى عبد الملك ، وأقام بالشام حتى توفى ذلك العام ، كما نلمحه فى أمالى الزجاجى ، الذى يقول إنه مات فى حدود ثمانين من الهجرة . ويروى الجاحظ قصة لسراقة فى كتاب « المحاسن والأضداد » فى باب « فضائل الدهاء والحيل » يقول إنها حدثت عندما كان خالد بن عبدالله القَسْرى واليا على الكوفة . وخالد هذا تولى الكوفة من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك عام ١٠٦ ﻫ بعد عزل عمر بن هُبَيْرة الفَزَارى ، ولذلك أرجح أن القصة حدثت فى عهد بشر بن مروان ، لا خالد بن عبد الله .

هذا كل ما نعرفه عن تاريخ سراقة الذى ظهر على مسرح الشعر عام ٦٦ ﻫ ، وأنزل عليه الستار عام ٧٩ ﻫ . فما هى إلا مدة قصيرة ، وإن كانت ملأى بالحوادث ، وخاصة الحوادث الحربية .

اتفق كل من كتب عن سراقة أنه كان ظريفا ، زوّارا للملوك ، محبوبا لديهم ، حلو الحديث ، وهناك عدة قصص تدل على ظَرفه ، مثل حادثته مع المختار عندما أراد

قتله ، وكلامه لبشر حين أغرق السيل بيته . وأذكر هنا قصه أخرى ، نرى فيها شيئا كثيرا من ظرفه ، فقد دبر كيدا ظريفا لأحد أصدقائه ، وإنه لكيد لا يختلف عن مكايد أظرف المصريين اليوم فى شىء . يقول الجاحظ فى كتاب « المحاسن والأضداد » ، باب « محاسن الدهاء والحيل » :

« كان الأحوص بن جعفر المخزومى يتغدى فى دير اللُّج ، فى يوم شديد البرد ، ومعه حمزة بن بيض وسراقة البارقى ، فلما كان على ظهر الكوفة ، وعليه الوبر والخز ، وعليهما الأطمار ، قال حمزة لسراقة : أين يذهب بنا فى البرد ، ونحن فى أطمار ؟ قال : سأكفيكه ؛ فبينا هو يسير إذ دنا منهم راكب مقبل ، فحرّك سراقة دابته نحوه ، وواقفه ساعة ، ولحق بالأحوص ؛ فقال له : ما خبّرك الراكب ؟ قال : زعم أن الخوارج خرجت بالقُطقُطانَة . قال : بعيد . قال : إن الخوارج تسير فى ليلة ثلاثين فرسخا وأكثر . وكان الأحوص أحد الجبناء ، فثنى رأس دابته ، وقال : ردُّوا طعامنا نتغدى فى المنزل . فلما حاذى منزله قال لأصحابه : ادخلوا . ومضى إلى خالد بن عبد الله القسرى ؛ فقال : خرجت خارجة بالقُطقُطَانَة . فنادى خالد فى العسكر فجمعهم ، ووجّه خيلا تركض نحو اللُّج ، لتعرف الخبر ، فأعلموه أنه لا أصل للخبر . فقال للأحوص : من أعلمك بهذا ؟ قال سراقة . قال : وأين هو ؟ قال : فى منزلى . فأرسل إليه من أتاه به ، قال : أنت أخبرته عن الخارجة ؟ قال : ما فعلت ، أصلح الله الأمير . قال له الأحوص : أتكذّبنى بين يدى الأمير ؟ قال خالد : ويحك ! اصدُقْنى . قال : نعم ، أخرجنا فى هذا البرد ، وقد ظاهر الخز والوبر ، ونحن فى أطمارنا هذه ، فأحببت أن أردّه . فقال له خالد : ويحك ! وهذا مما يتلاعب به ؟ ! » .

وكان سراقة أيضا شديد الاعتداد بقبيلته بارق ، متعصبا لها ، بعد أن محا الإسلام أمر العصبيات ، ولكنها عادت سيرتها الأولى فى عهد بنى أمية ؛ بفضل السياسة التى انتهجوها ، سياسة التفريق بين القبائل ، والميل إلى المضرية تارة ، وإلى اليمنية أخرى ، وقصر الوظائف على إحداهما نكاية فى الأخرى . ولا يعتد سراقة بعشيرته بارق وحدها ، وإنما يفخر بقبيلته الأزد ، بل بجميع القبائل اليمنية ، مما نراه شائعا فى قصائده ومقطوعاته . فهو يذكر فى قصيدته الأخيرة فى الديوان التى مطلعها :

أبتْ عينُ ابنِ عمِّكَ أن تناما ... بجنبِ الطَّفِّ واحتمَّ احتماما

جمهورَ القبائل اليمنية واحدة واحدة، يسبغ عليها كل محمدة، فهذه الأزد :

وقد أحمِي الحقيقةَ كل يومٍ ... وتحمى الأزدُ أنفى أن أُراما

أُناسٌ يأمَنُ الجيرانُ فيهم ... كمكةَ ماتمَسُّ بها الحَماما

وهذه مَذْحِج :

ومَذْحِج إذ تقرِّبُهُم جميعا ... رأيتَ قرومَ مَذْحِجنا عِظاما

وهذه هَمْدان:

وفى هَمْدانَ ضَرْبٌ حين تُلْقَى ... يُطيِّر معاصما ويُبِين هاما

وهذه كِنْدَة، وهذه خَثْعَم، وهذه ... ، وهذه ... إلى آخر القبائل اليمنية، يمدحها ويسبغ عليها كل صفة كريمة، ثم يختم القصيدة بهجاء نِزار وتعييرها :

معدًّا مثلَ ذا يا ابنَىْ نِزارٍ ... وذاكَ عليكما أمسَى حَراما

ولن تَجِدا ملوكا فى نزار ... وآباءً كآبائى كِراما

وهناك قصص أخرى تدل على ذلك الاعتداد، فهذه قصته مع كثيِّر، وتلك قصته مع إبراهيم بن الأشتر النخعى اليمنى، الذى حارب فى صف المختار ضد اليمنيين والربعيين، أى كان مناهضا لسراقة وقومه، ولكنه عند ماقتل إياسَ بن مضارب وهددته ربيعةَ، لم يتذكر سراقة العداء الذى بينه وبين إبرهيم، والحِلف الذى بينه وبين ربيعة، وإنما تذكر القرابة بينه وبين إبراهيم، فهما يمنيان، نراه يمدحه ويهجو حلفاءه من ربيعة :

أتُوعِدُنا ربيعةُ فى إياسٍ ... وأىَّ الدهرِ أوْعَدَنا قبيلُ

حَرُورِىٌّ تَكَنَّفَهُ الموالى ... وعضٌّ برأسِه سيفٌ ثقيل

وإبراهيمُ مُعْتَزٌّ هِزَبْرٌ ... له فِئَةٌ تقول كما يقول

يمانِيَةٌ تذود الناسَ عنه ... وتخطِر فى جوانبها الفحول

وبسبب تلك العصبية الغالية، وهذا الغلو الجموح، أُطلقتْ عليه لقب «شاعر الأزد»، أو «شاعر اليمن»، فى تلك الفترة من الزمن .

٢ — شعر سراقة

إذا ألقينا نظرة عامة على شعر سراقة وجدنا أنه نظم الشعر فى ثمانية أغراض ، هى : الاستعطاف، والحكمة ، والحماسة ، والفخر ، والمدح ، والهجاء ، والوصف . ولكن يسترعى نظرنا الهجاء ، فهو الغرض الذى غلب على غيره فى الديوان ، ويتلوه الرثاء ، ثم يتنازع الفخر والمدح والحكمة المكان الثالث . وأحب أن أتناول بعض هذه الأغراض بشىء من التفصيل والتحليل .

الحكمة

وأبدأ بالكلام على حكمة سراقة ، أو المذهب الاجتماعى الذى سار عليه ، وتحدث عنه كثيرا فى ديوانه ، ناثرا لأجزائه فى القصائد والمقطوعات المتعددة . فإذا جمعنا هذه النظرات الأخلاقية المنتشرة فى الديوان ، اجتمع لنا مذهب أخلاقى كامل ، وتكشف عن رجل أخلاقى ناقد المجتمع ، وإنى لمحلل بعض نظراته فيما يلى :

يبدأ سراقة مذهبه بالنصح فى الأمور العائلية ، فينصح بالزواج من ذات الخُلُق والدين وإن تكن غير وسيمة ، فالمورد العذب كثير الزحام :

لا تطلبَنَّ فتاةً من وَسامتها مالم يوافِقْكَ منها الدينُ والخلقُ

وهذه هى النظرة الإسلامية التى يمثلها الحديث الشريف : « تُنْكَحُ المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ؛ فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك » .

ويقول ابتعد جهدَك عن هؤلاء النسوة اللائى يتحشمن ويتلففن ، ثم يسرن ليلا فى جَوْخَى .

« وهل تَسْرِى بجَوْخَى الحرائرُ »

وجوخى هذه محلة : بالعراق ، لعلها كانت مرتاد أهل الملاهى والعبث والمجون .

ثم عليك بالرفق مع زوجك وأولادك ، فهو جامع الأهل ، ومسبغ أسباب الهدوء والسعادة ؛ أما الحماقة والهَوَج فلا يجلبان إلا النحس والشقاء لصاحبهما :

والرفقُ يجمعُ أهلَ البيتِ ما اجتمعوا وقد يَشُقُّ على أصحابه الخُرُق

ثم الأقارب ، هل يدعك سراقة لا تدرى كيف تعاملهم ؟ لا ، وإنما ينصح باحترام ابن العم ، فلا تهنه أدنى إهانة ، ولا ترفع كفك لتصفعه ؛ وإنه يكرر ذلك القول مرتين ، دليلا على إكباره واستصعابه ، بل هو يذهب إلى أبعد من ذلك فيدعو على نفسه بالشلل لو أمسك بتلابيبه أو ناصيته :

وَلستُ بلاطمٍ وجهَ ابنِ عمى وشُلَّ الخمسُ منى إن نَصَوْتُ

أما قينة أقربائك فلا تَلْهُ بها ، ولا تقتفِ أثرها ، لتتطفل عليها ، وتتطلع على أسرارها ، وهى النظرة الإسلامية الممثلة فى الآية الكريمة : « وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ » .

ثم يترك سراقة الأمور العائلية إلى الإخوانية ، فينصح بملازمة الحلماء ، وتجنب السفهاء ، فإن الصديق مرآة الصديق ، فإن جالست السفيه فأنت مثله ، وإن جالست الحكيم فأنت الحكيم :

فإنك والقرينَ معا سواء كما قُدَّ الأديمُ على الأديمِ

وينصح فى السلوك العام بعدم السماح للكلمة القبيحة بالمرور على اللسان ، فتدنسه وتلطخه بالأقذار . و « دعِ الفواحشَ ما استطعْتَ لأهلِها » فإنها لا تليق بك ، وأنت لا تليق بها . ولا يعنى هذا أن تكون ضعيف الإرادة خائر العزيمة . لا ، « فإذا هَمَمْتَ بأمْرٍ صِدْقٍ فافعَل » ، فهنا الإرادة والعزيمة ، لا فى اللهو والخلاعة . وإذا ضاقت ذات يدك ، وتدهورت بك الحال ، فلا تلبس ثوب الذل والخنوع ، ولا تنحن لغير الوهاب المتفضل ، فتوسل إليه وحده ؛ فهو القدير على كل شىء . أما إذا تألق نجمك ، وازدادت ثروتك ، فلا تبطَر ، فتتبع دواعى اللهو وأسبابه ؛ فإن هذا ممزق عرضك ، مضيع شرفك . فَصُنْ نفسك كى يصان عرضك ، وكن كريما جوادا ، لا تبخل فى مقام البذل . وإذا قدرت فاعفُ ، ولا تتحين الفرصة حتى إذا وجدت الذليل أثقلت ظهره بالظلم والجور . لا ، ليس من كريم الخلق أن « يُرَى مولاك مهتضما » وفى قدرتك أن ترفع عنه الضيم ، وتحميه من الذل . وإذا اختلفت الآراء ، وضلت الحلوم ، وأشكل الأمر ، وصعب المخرج ، فتشبه بأسلافك الكرام ، واطلب معالى الأمور ، فإنك ذو النسب الرفيع السامى :

كذاكَ نشأتُ فى قومى صغيرا   وربَّونى بذلك إذ رَبوْتُ

هـذا هو المذهب الذى نشئ عليه سراقة ، وأخذ نفسه به . وإنه لمذهب تختلط فيه المثل العليا الأخلاقية الجاهلية بالمثل الإسلامية اختلاطا عجيبا ، ولـكنه مذهب سليم فى مجموعه لا تشوبه شائبه .. وقد يقول قائل : إذا كان سراقة رجل أخلاق ، فما باله يغرم بالهجاء ، ومناقضة الشعراء ، وإن هذا ينافى التمسك بالفضائل وإيثار الصالحات من الأقوال والأفعال ؟

ولا أجد عسرا فى الجواب عن هذا الاعتراض ، فإنما كان سراقة يهجو الشعراء هجاء قبليا ، دفاعا عن حوزته وعشيرته ، كما كان مؤثرا للعفة فى القول ، والبعد عن الصراحة المؤذية ، بل كان هجاؤه جاريا مع المثل الأخلاقية التى رسمتها البيئة العربية ، والنظم الإسلامية فى ذلك العصر ، كالتعيير بضعف القبيلة ، وجبنها عند اللقاء ، وما إلى ذلك من النقائص العامة . أما إعلان المخازى والمساوئ ، والتشهير بالمحصنات من النساء ، وما شاكل ذلك ، فكان أبعد شىء عن خيال سراقة ولسانه ، وما علمناه إلّا عف اللسان والضمير ، نزيه القول ؛ كما أن عُظم الذنب يقع على نفس البيئة التى وجدفيها سراقة ، فهى التى دعت لوجود النقائض ، حتى أننا نجد جريرا الذى اتفق كل من كتب عنه على تدينه ، نجده تصدر منه نقائضه المفحشة البذيئة ، الملأى بالعورات والمساوئ ، التى كان يستغفر منها جرير نفسه .

الوصف

وأنتقل بعد هذا إلى الفن الذى أبدع فيه سراقة وفاق أقرانه ، وهو الوصف ، وخاصة وصف الخيل . وليس فى الديوان غير قصيدة واحدة فى وصف الخيل ، ولـكنها طويلة ، ولا تتناول إلا ذلك الوصف ، فلا تخرج عنه إلى شىء آخر كالقصائد العربية الأخرى . ولعلها أعظم قصائد سراقة ، كما أنها من أعظم ما وصل إلينا من الأشعار العربية فى وصف الخيل .

يبدأ سراقة القصيدة بقوله :

زعمتْ ربيعةُ وهى غير ملومةٍ   أنى كبِرتُ وأن رأسِىَ أشيبُ

فيذكر نساء قومه ، وحبه الخيل ، وصرفه الأموال الـكثيرة عليها ، واعتفاءه بها ، حتى ليغذوها ألبان الإبل :

وجعلتهُ دون العيالِ شتاءه حتى انجلى وهو الدخيلُ المُقرَّب
والقيظَ حين أصونه فى ظُلَّةٍ وَحَشيُّها قبلَ الغروب مُنَقَّب
وله ثلاثُ لقائحٍ فى يومه ونخيره مع ليـله متأوِّب

ثم ينتقل إلى وصف فرسه وصفا مفصلا دقيقا ، يتناول كل جزء من جسمه فيبرزه لنا أحسن إبراز ، وما أشبه سراقة فى موقفه هذا بالآلة المصوِّرة ، تسلَّط عينها على ذلك الفرس العظيم الجسيم ، فتصوره لنا مقبلا ومدبرا ، ومعرضا ، تصور لنا رأسه وجسمه وقوائمه ، تصور لنا كل شىء منه ، فلا تغادر كبيرة ولا صغيرة إلا جلتها فى مناظرها ، وأبانت عنها أحسن إبانة . ولكنى حين أشبه سراقة بالمصوِّرة أظلمه ظلماً كبيرا فهو لا يكتفى بعملها الآلى اللاقط للحقيقة ، وإنما يضفى على تلك الصور من قلبه الحب والعطف والعناية ، فتنساب على المناظر ، فتهبها البريق والطلاوة ، والحياة المشبوبة العواطف ، فهو أشبه بعظماء الرسامين الذين تركوا لنا الألواح الخالدة . فهو يأخذ الألفاظ الميتة فينفث فيها من روحه ، فإذا بها عظام تكتسى لحما ، ولحم يكتسب قوة ، وقوة تفيض بالحياة ، وإذا بكل ذلك أمامنا يصير جوادا يتوفز بالنشاط ، وتجرى فى عروقه الدماء ، مثله مثل الفنان الخالد يمسك الأدهان والألوان ، فيجرى بريشته على الورق الصقيل ، وإذا بالألوان تتداعى ، ويسعى بعضها إلى بعض ، فتتآلف وتجتمع فى صورة تفيض بالبهاء والجلال ، وتشع منها العظمة والخلود .

هاهو ذا سراقة واقفا أمام فرسه المنتصب كالتمثال ، وكأنه قد أمسك بريشته ، وأخذ يرسم الخطوط ، فيخرج لنا الصورة إثر الصورة ، تمثل الفرس أجمل تمثيل وأحسنه ، ثم يثور حبه وإعجابه بهذا الفرس الذى بذَّ الأفراس ، فيجمع ألواحه ، ويسير نحوه ، فيربت على ظهره حانيا ، رَبَتَاتٍ فيها الحب والعطف والإعجاب . وليس هذا مما يثير الدهشة ، فقد رباه سراقة منذ الصغر ، حتى بلغت به الحال إلى ما نراه فى المناظر التى خلفها لنا سراقة فى أبياته . ولم يكن سراقة يقتصر على هذا الإعجاب والفخر ، بل يظهرهما لقومه ، ويتيه عليهم بفرسه ، ويفعل ذلك مرارا وتكرارا . وإذا بأحدهم ذات يوم يضيق صدره بهذا الإعجاب وذلك التيه ، فينبرى لسراقة ، يرد عليه فخره ، مشيدا بفرسه هو ، فإذا باللجاج يتعالى ، وإذا بهما يتراهنان على السباق فى يوم معلوم .

أخذ كل فرد من المشاركين فى السباق يستعد له ؛ يدرب فرسه ، ويهيئه للعَدْو الطويل السريع ، ويعنى به كل عناية . حتى إذا كانت ليلةُ السباق تجمعوا فى الموضع الذى سيبدءون منه ، وأخذ كل منهم يحدد له موضعا للوقوف فيه غدا ، وتركوا الأفراس طليقة ترعى وتستريح ، استعدادا لليوم المشهود . وعندما بزغ فى السماء نور الفجر المتورد فطمس النجوم والكواكب ، استدعى كل امرئ فرسه ، وخلع عنه جُلّه ، وأوقفه فى نقطة البدء ، منتظرا إشارة السباق .

انطلقت الخيل مندفعة ، ولكن فرسه يبرز من بين الصفوف ، لا يلوى على شىء ، إذ الخيول الأخرى مجهدة متعبة ، يضربها فرسانها بالسياط والمهاميز ، ولكن أين هى من قوة فرس سراقة ونشاطه ؟ ! أخذ الفرس يسابق الريح للوصول إلى الشرف البعيد الذى استأنس بمرآه ، وإذا بكوكبة من أبناء القبائل المختلفة تتابعه النظر ، معجبةً مهللة ، أما الخيول الأخرى فلا يحمّسها ويهلل لها إلا أبناء قبائلها . وأخيرا انتهى فرس سراقة إلى الغاية ، وأحرز قصب السبق .

لا يعتبْ علىّ القارئ ، فقد سحرتنى حماسة السباق ، وتتبع المتسابقين ، والإعجاب بفرس سراقة ، عن اقتطاف بعض الأبيات من القصيدة ، ليجول فيها خياله وخاطره ، ويمتع عينيه وأذنيه وقلبه . ولكن القصيدة فى الديوان ، وكلنا يستطيع أن يرجع إليه ، ومع ذلك لن أضن بإيراد بعض الأبيات هنا :

والخيلُ تعذِلُنى على إمْسَاكِها ... وتقولُ قد أهلكتَ مالا يُحْسَبُ
فخلفتُ لا تنفكُّ عندى شَطْبَةٌ ... جرداء أو سَبِطُ المَشَدَّةِ سَلْهَب
أما إذا استقبلتَه فيقودُهُ ... جِذْعٌ علا فوقَ النخيل مُشَذَّب
ومُعَرَّق الخدينِ رُكِّبَ فوقه ... خُصَل وسامعةٌ تَظَلّ تَقَلَّب
راهنتُ قومى والرهان لَجاجةٌ ... أَحْمَى لمُهْرِى أن يُسَبَّ وأرغب
بِتْنَا برأسِ الخطِّ نَقْسِم أمرنا ... ليلا يجول بنا المِرَاء ويهضِبُ
عجّلتُ دَفْعَتَها وقلتُ لفارسى ... راكضْ به إن الجوادَ المُشهب
حتى أتى الصَّفّين وهو مبرِّزٌ ... بمكانه رأىُ البصير مغرِّبُ

وأرجو أن يلاحظ القارئ الحركة ، بل العدو السريع فى الأبيات الأخيرة من القصيدة ، فالشاعر يعدو لاهث الأنفاس ، يسابق الأوزان ، كما يسابق فرسه الأفراس .

شاعت هذه القصيدة بين العرب فى المجامع ، وجعلها القوم حديثهم فى المجالس ، حتى قال عنها الحجّاج : « من أراد أن يَبْصُر بالخيل فليرو قصيدة بارقٍ هذه » . وإننا لنلمح فى هذه الكلمة التى أثرت عن الحجاج ما يرفع من قصيدة سراقة ، فهو لم يضفها إلى صاحبها وحده ، وإنما نسبها إلى قبيلته ، كأنها مفخرة من مفاخرهم ، ومأثُرة لهم فى العرب ، وكأنها أشبه بمعلقة عمرو بن كُلْثوم ، التى تضاف إلى تغلب ، وتعد من مفاخرهم ، ويعتمدون عليها فى مفاخرة القبائل ومساماتها ، حتى شاع ذلك فى العرب ، وقال بعض الشعراء ، يهجو تغلب فى اعتمادها على الفخر بهذه القصيدة :

أَلْهَى بنى تغلبٍ عن كلِّ مكرمةٍ   قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثوم

وبالرغم من هذا الإبداع ، لم يذكر أحد من الرواة سراقة فى طبقة وُصاف الخيل المشهورين . ولا ندرى بم نعلل ذلك الإغفال ، ألأن شعر سراقة ضاع من أيدى الرواة ، ولم يعرفه إلا قلة منهم أم لأن اختلاط اسمه باسم سلفه البارقى الأكبر ، واسم سراقة السُّلَمِىّ ، أحدث لبسا وغموضا فى نسبة الأشعار الخاصة بكل واحد منهم ؟ وربما كان مرجع ذلك إلى أن كثيرا من مجاميع الكتب التى اختارها كبار الأدباء والرواة قديما ، وضمنوها أشعار القبائل فُقِدَ فى الحوادث التى طرأت على البلاد الإسلامية فى العصور المختلفة .

عُرف جماعة من الشعراء بوصف الخيل ، هم : امرؤ القيس ، وعلقمة الفحل ، وأبو دواد الإيادى ، وطفيل الغنوى ، والنابغة الجعدى ، وسلامة بن جندل ، فأردت أن أوازن بينهم وبين سراقة ، حتى أعرف موضعه منهم .

وأفتتح الموازنة بشعر أمير الشعراء امرئ القيس ، وقد وصف الخيل فى عدة قصائد ، ولكنه وصف قصير لن أقف عنده ، وإنما أقارن قصيدة سراقة بتلك القصيدة التى فاخر بها امرؤ القيس علقمةَ الفحل التى مطلعها :

خليلىّ مُرّابى عَلَى أمّ جُنْدَبِ   لِنَقْضِىَ حاجاتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

وهو يصف الفرس فيها بما يقرب من الثلاثين بيتا ، يبدأ بتصوير جسمه جزءا جزءا ، وهو

يصف أجزاء لم يصفها سراقة ، ولكنه يصفه من جانب واحد فقط . أما سراقة فيصفه من جميع الأنحاء ، مقدما ومدبرا ومعرضا ، ولا يفعل ذلك امرؤ القيس وإن كان يمتاز بكثرة التشبيهات :

عظيمٍ طويلٍ مطمئنٍّ كأنه ... بأسفلِ ذى ماوانَ سَرْحَةُ مَرْقَبِ
يُبَارِى الخَنُوفَ المستقلَّ زِماعُهُ ... تَرَى شخصه كأنه عودُ مِشْجَبِ
له أَيْطَلا ظَبْيٍ وَسَاقَا نعـــامةٍ ... وصهوةُ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مَرْقَبِ
له جُؤْجُؤٌ حَشْرٌ كأن لجامَه ... يُعالَى به فى رأس جذع مشذَّبِ
وعينانِ كالماويتينِ ومَحجِرٌ ... إلى سَنَدٍ مثلِ الصَّفيح المنصَّبِ

ويصف فى هذه القصيدة الصيد ، وجرى الفرس للَّحاق به ، ولكنه لا يعدل قصيدة سراقة فى ذلك ، ويختلف عنه اختلافا كبيرا ؛ ونستطيع أن نقول إن الحركة السريعة تظهر فى قصيدة أخرى لامرئ القيس ، مطلعها :

أحارِ بنَ عمرو كأنى خَمِرْ ... ويَعْدُو على المرء ما يأتَمِرْ

وهو يصف فيها الفرس وصفا مفصلا :

وأركبُ فى الرَّوْعِ خَيْفَانةً ... كَسا وجْهَهَا سَعَفٌ منتشِرْ
لها حافرٌ مثل قعب الوليـــد ... رُكِّبَ فيه وظيفٌ عَجِرْ
لهـا ثُنَنٌ كخوافى العُقا ... بِ سودٌ يَفِئْنَ إذا تَزْبَئِرّ
وساقانِ كعباهما أصمعا ... نِ لحم حماتيهما مُنْبَتِرْ
لها كَفَلٌ كصَفَاةِ المَسيــلِ ... أبرز عنها جحافٌ مُضِر
لها ذنب مثل ذيل العروسِ ... تسدُّ به فرجها من دُبُر

فيصفه مقبلا ومدبرا ومعرضا ، ويتسع أحيانا ، ويضيق أحيانا أخرى ، ولكنَّ السرعة التى تظهر فى هذه الأبيات ، هى سرعة الوزن لا سرعة الفرس ، فنحن لا نجد أى وصف فيها لعَدْو الفرس . وقد لاحظت شيئا مهما آخر ، هو ظهور عاطفة سراقة ، وحبه للفرس فى قصيدته ، على حين أن امرأ القيس لا يبين عن شىء ، فسراقة فارس عربى قح ، يعيش مع فرسه ، ويعتمد عليه فى الشدائد ، يشاركه فرسه فى حلو العيش ومُرّه ، ويعنى صاحبه به فى الحالين ، وقد صور سراقة هذا فى قصيدته أجمل تصوير .

نجد من هذا أن سراقة يتفوّق على امرئ القيس فى التفصيل والحركة السريعة والعاطفة ، وإن كان امرؤ القيس قد ترق عباراته ، وتعذب ألفاظه ، ويقل الغريب فيها ، فيفوق سراقة فى السهولة .

وأترك امرأ القيس إلى خصمه علقمة الفحل ، الذى نافسه فى وصف الخيل ، وديوانه يحتوى على نحو ثلاث قطع فى وصفها ، ولكن أكثرهن تفصيلا هى قصيدته التى ناقض بها امرأ القيس ، التى مطلعها:

ذهبتَ من الهِجران فى غيرِ مَذْهَبِ   ولم يكُ حقا كلُّ هذا التجنُّبِ

وهى لا تختلف كثيرا عن قصيدة امرئ القيس ، حتى لم يستطع قدماء الرواة التفريق بينهما ، واختلطت أبياتهما اختلاطا شديدا ، وعلقمة يتناول أجزاء من الفرس لم يتناولها سراقة ، ولكن سراقة أوسع أفقا منه ، وأكثر تفصيلا . وعلقمة مثل امرئ القيس يصف صيدا ، وسراقة يصف سباقا ، ولذلك نرى فى علقمة قوة وعنفا أكثر مما نجد فيه حركة وسرعة ، ومع ذلك لا تظهر هذه الحركة إلا فى أبيات قليلة بالنسبة لأبيات سُراقة ، وكذلك لا تظهر عاطفة علقمة فى قصيدته ، وألفاظه أشد غرابة من ألفاظ سراقة . وهكذا نجد سراقة يفوق علقمة فى التفصيل والعاطفة والسهولة ، والألفاظ المألوفة .

ثم نأتى إلى طفيل الغَنَوى الذى يُسمى « المُحَبِّر » لحسن وصفه الخيل ، وقال عنه الأصمعى : أخذ كل الشعراء من طفيل حتى زهير والنابغة . وهو كان يركبها منذ الصغر ، حتى صار الفارس المغوار ، ولذلك كان يحسن ذلك الوصف إحسانا شديدا . وينثر طفيل وصفه للخيل فى جميع الديوان ، حتى يكاد يدخل فى كل غرض من أغراض ديوانه ، ولكنه يجمع ذلك المتفرق فى قصيدته التى مطلعها :

بالعُفر دارٌ من جميلةَ هيَّجَتْ   سوالِفَ حُبٍّ فى فؤادِك مُنصِبِ

ويُورد فيها ما يقرب من خمسين بيتا فى وصف الخيل ، وكذلك قصيدته :

ألا هل أتى أهلَ الحجازِ مُغارُنا   ومن دونهم أهلُ الجِنابِ فأيْهَبُ

شآمِيَة إنَّ الشآمىَّ دارُهُ   تَشُقُّ على دار اليمانى وتَشْغَبُ

التى يرد فيها نحو من ١٥ بيتا فى ذلك الوصف . ولكن طفيلا ليس واصفا للفرس ، وإنما هو واصف للرّعال . أعنى أنه لا يرسم لنا صورة لفرس واحد منتصب أمامه ، أو جارٍ فى

حَلْبة أو صيد ، بل يصف جماعات من الخيول تتزاحم وتتصادم ، وتعدو هنا وهناك ، تختفى تارة وتبرز أخرى . فهو واصف لميدان القتال الذى تتصادم فيه الفُرسان ، وتتلاقى فيه الأفراس ، فيختلط الفارس بالراجل ، ويعلو القَتام حتى يغبر لون السماء . فهو يختلف عن سراقة اختلافا تامًا . وهو شبيه بامرئ القيس فى كثرة التشبيهات ، فهو شاعر « كأنّ » ، وألفاظه غريبة . وأخيرا نستطيع أن نقول إن سراقة يمتاز عن طفيل بوصفه للفرس الواحدة ، وبسهولة ألفاظه ، وبحبه لفرسه .

كنت أحب أن أنتقل من طفيل إلى أبى دُواد الإيادى ، الذى يقول عنه أبوعبيدة : أبو دواد أو وصف الناس للفرس فى الجاهلية والإسلام . وقال عنه ابن الأعرابى : لم يصف أحد قطُّ الخيل إلا احتاج إلى أبى دواد . وقد كان على خيل المنذر بن النعمان بن المنذر ، ولذلك تمكن من معرفة الخيل المعرفة الجيدة ، فقال فيها الشعر الجيد . ولكنى لم أجد فى المجموعات الأدبية التى بين أيدينا اليوم إلا البيتين أو الثلاثة التى لا تدعم تلك الشهرة .

وكذلك النابغة الجعدىُّ لم أجد من شعره غير قصائد قليلة . وقد وصف الخيل فى إحداها فى عشرين بيتا تفيض بالألفاظ الغريبة . وهو لا يصف الفرس الوصف المفصَّل ، وإنما يصور سيرها وعدوها ، ولا يتعرض لجسمها إلا فى النادر . وهكذا يسبقه سراقة سبقا بعيدا ، وليس ذلك بغريب ؛ فإن الأصمعىّ يقول عنه : « وأما الجعدى فإنه سمع ذكرها من أشعار الشعراء ، فأخذ عنهم ؛ وليس المقتبس كالأصيل .

وآخر الأمر نصل إلا سلامة بن جندل ، وله ديوان صغير به بعض المقطوعات التى تصور الخيل ، وأكثرها تفصيلا قصيدته التى مطلعها :

أودى الشبابُ حميدا ذو التّعاجيبِ   أودى وذلك شأوٌ غيرُ مَطْلوبِ

وهو يصف فيها سير الفرس ، ولا يتعرض لرسم صورته ، فلا يمكننا من تخيله كاملا أمامنا ، بل يتركنا نرى عَدْوا وسرعة وغبارا ثائرا . وقد تظهر فى شعره العناية بالفرس والعاطفة نحوه ، ولكنها عناية قاصرة ، لا تطاول حب سراقة وعطفه وحنانه .

نجد أن هؤلاء الشعراء الذين اشتهروا بوصف الخيل قد يشاركون سراقة فى كثير من خصائصه ، ولكنى أستطيع أن أقول إنه خير من رسم صورة لفرس واحدة ، معطيا أدق

التفاصيل ، كاشفا عن أصغر الأجزاء ، فى ألفاظ مألوفة ، وأسلوب عذب ، يختلف عن ذلك الأسلوب الذى كان يتكلفه القدماء فى وصف الخيل ، حتى تولدت منه تلك الطَّرديات التى نجـدها عند الشعراء المتأخرين ، مثل أبى نواس والمتنبى ، والتى كانوا ينظمونها رجزا ، ويتعمدون فيها الغريب ، الذى كان من أبرز خصائص الطرديات ، ولذلك كان جديرا بقول الحجاج : « من أراد أن يبصر بالخيل ، فليرو قصيدة بارق هذه » .

الهجـــاء

أما الغرض الأكبر عند سراقة فهو الهجاء ، وهو ضربان : نقائض ، وهجاء عادىّ . فالنقائض مع جرير ، ثم مع الفرزدق . والهجاء العادى موجه للمختار وكثيِّر والقبائل الشمالية . وفى غالب الأمر يرجع ذلك الهجاء إلى سبب قَبَلى ؛ فهو يهجو المختار لمحاربته قومه ، ويهجو كثيِّرا لتنصله من اليمن ، وادعائه أن خزاعة من كنانة قريش ؛ ويهجو جريرا لأن محمد بن عمير قريب الفرزدق يبذل الأموال لتفضيله على جرير ، أوطاعة لأمر بشر ، الذى كان مغرما بإثارة الهجاء بين الشعراء ، ليلتفت بعض القبائل إلى بعض ، ولا تجد الفراغ للالتفات إلى الخليفة الأموى .

وسراقة فى نقائضه مع جرير يهجو يربوعا رهطه بالنهَم والبخل والضعف والخفة :

فإنْ أهْجُ يَرْبُوعًا فإنىَ لا أرى ... لِشَيْخِهِمُ الأقصى على ناشىء فَضْلا
صِغارٌ مقاريهم عظام جُعُورهم ... بِطاء إلى الداعى إذا لم يكن أكلا
قُبَيِّـلَةٌ لا يدركون بتَبْلِهم ... ولا يسبقون الدهر مُطَّلِباً تَبْلا

ويهجوهم بأنهم عبيد أخساء لؤماء يأملون الفرار :

حَرِّرْ كُلَيْبا إن خَيْرَ صنيعةٍ ... يوم الحساب العِتقُ والتحريرُ
اضربْ عليهم فى الجَواعِرِ حَلقةً ... تَبْقَى فإنَّ إباقَهم محـــذور

ويفضل الفرزدق على جرير :

إن الفرزدقَ برَّزتْ حَلباتُه ... عفوا وغُودِرَ فى الغبار جرير
ما كان أولَ مِحْمَرٍ عثرتْ به ... أنسابه إنَّ اللئيمَ عَثُور

وفى هجائه للفرزدق يلقبه بابن القين الذى شهره به جرير، ويصفه بالدعر والخنا :

قد كنتُ أحسب يا ابنَ قَيْنِ مُجاشِعٍ ... أنْ قد خَصَاكَ فلا تَغِطُّ جريرُ

ولقد علمتَ على تَباغيك الخَنا ... أنَّ الخَصِيَّ إذا استُفِزَّ ذَعور

ونقائض سراقة تختلف اختلافا جوهريا عن نقائض غيره من شعراء ذلك العصر، فنحن لا نرى فيها ذلك الإفحاش، ولا ذكر العورات التى أوغل فيها جرير والفرزدق والأخطل، وهى مأثرة لسراقة تدل على أدبه ونزعته الأخلاقية الحكمية، التى ظهرت جلية فى إكثاره من الحكم والنصائح فى شعره.

أما هجاؤه العادى فيهجو المختار بالكذب والادعاء، ويدعو لقتاله :

كفرتُ بوَحْيكم وجعلتُ نذرا ... علىَّ قتالَكم حتى المَماتِ

إذا قالوا أقول لهم : كذبتم ... وإنْ خرجوا لبستُ لهم أداتى

ويصف كثيرا بالكذب أيضا، وبالرشوة أو أخذ العطاء :

لعمرى لقد جاء العراقَ كثيِّرٌ ... بأُحدوثةٍ من وَحْيِه المتكذِّبِ

فإنْ كنتَ حرًّا أو تخافُ مَعَرَّةً ... فَخُذْ ما أخذتَ من أميرك واذهبِ

وهجاؤه لربيعة ونزار وتميم والقبائل الأخرى هجاء قَبَلى، مثل هجاء سائر الشعراء الإسلاميين والجاهليين ؛ تعيير بالضعف والثأر والهزيمة وما يدور حولها . ويوجد هذا الهجاء مختلطا بالمدح والفخر والأغراض الأخرى .

نرى من ذلك أن صورة الهجاء عند سراقة هى صورة الهجاء القبلى الجاهلىّ ، لم تتغير كثيرا اللهم إلا فى هجائه للمختار، وذكره للوحى والدين ؛ وإن الصورة الجاهلية لتبرز كل البروز فى بيته هذا من هجاء قوم جرير :

قُبَيِّلَةٌ لا يدركون بتَبْلِهم ... ولا يسبقون الدهرَ مُطَّلِبًا تَبْلا

الفخـــر

يملأ الفخر ديوان سراقة ، ويختلط بالمدح والرثاء والهجاء والأغراض الأخرى .

ويفتخر سراقة بنفسه شاعرا، وبقومه من الأزد ومن اليمن شجعانا محاربين ؛ فيضفى كل

مجد عليهم ، ويخصهم بكل صفات الحمد . أما الشماليون فيقصيهم عن كل ما تشم منه رائحة الفخر والعز . وفخره مثل أى فخر عندأىّ شاعر آخر . ولكنى أحس بأن سراقة فى فخره أصدق من عمرو بن كُلثوم فى معلقته . فعمرو يبدو فيها شابا نزقا طائشا ، فائر الثورة ، يقول ما لايدرى ، وسراقة يخلع على نفسه ثوب من يقرر أشياء مسلما بها ، فيقول :

قومى شَنُوءَةُ إنْ سألتَ بمجدِهِم ... فى صالحِ الأقوامِ أو لم تَسْألِ
ومآثرٍ كانت لهم معلومةٍ ... فى الصالحين وسؤدُد لم يُنْحَل
الدافعين الذمّ عن أحسابهم ... والمُكْرمين ثَوِيَّهم فى المنزل
والمطعمين إذا الرياح تناوحتْ ... بقِتَامِها فى كل عامٍ مُمْحِل

لكنّ عمرو بن كلثوم يهدِر ويُزْبِد قائلا :

وقد علِمَ القبائلُ من مَعَدّ ... إذا قُبَبٌ بأبْطَحِها بُنِينا
بأنّا العاصمون بكل كَحْلٍ ... وأنا الباذلون لمُجْتَدِينا
وأنا المانعون لما يلينا ... إذا ما البِيضُ زايلَتِ الجفونا
وأنا المنعمون إذا قدرْنا ... وأنا المهلكون إذا أُتِينا

وإنى إن قررت اختلاف فخر سراقة عن فخر عمرو، فإنى لا أدعى أن سراقة لا يبالغ ، بل كثيرا ما يبالغ ، ويبالغ مبالغةً كبيرة ، ولكن لهجته تختلف عن لهجة ابن كلثوم ، وإن كان فخره لم يخرج عن إطار الفخر الجاهلى .

يفتخر سراقة بنفسه، فيفضلها على شعراء عصره ، والعصور التى سبقته . ويصف نفسه بالبازى ، ويظهر أن ذلك كان ميزة عامة فى ذلك العصر . فنحن نرى جريرا يفضل نفسه على الشعراء ، وكذلك الفرزدق والأخطل وغيرهم ، ويشبهون أنفسهم بالبوازى تنقض من السماء على المهجو . ويبدو أن ذلك كان نتيجة لازدهار فن النقائض . ولا أعنى أن شعراء العصور الأخرى لا يفضلون أنفسهم على غيرهم ، وإنما أعنى أنهم لو فعلوا ذلك لم ينظموه شعرا ، وإنْ فعله الكبير منهم لم يفعله الصغير . وأمّا فى تلك الفترة فكان ذلك ظاهرة شملت جريرا وسراقة .

وأحب الآن أن أورد مثالا من نخر سراقة ، وهو من أحسن قصائده تبيانا لروحه ، وكشفا عن دخيلته ، تلك هى قصيدته التى مطلعها :

إنَّ الأحبَّةَ آذنوا بترحُّلِ   وبصُرْمِ حَبْلكَ باكرا فتحمَّلِ

ولا أدرى ما الذى يجعلنى أتذكر معلقة امرئ القيس :

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزلِ   بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

كلما وقع نظرى على هـذه القصيدة ، وهما تختلفان فى الوزن ؟ ألاتحادهما فى القافية ، أم لاستخدام سراقة قَصَص امرئ القيس ، أم لذكره إياه عدة مرات فيها ؟ ولعل كل ذلك يتجمع بعضه إلى بعض ، حتى يتحد فيصير خاطرا واحدا ، يدعو قصيدة امرئ القيس عند لَمْحِى قصيدة سراقة .

يبدأ سراقة القصيدة بالغزل دون النسيب ، فلاأطلال ولا دِمَن ، ولاوقوف ولا بكاء ، وإنما سفر وهجران :

ذُلُلاً حُمولتها ببَيْنٍ عاجلٍ   خُضُمًا سوالفها تعوم وتعتلِى
يمشى ويوجف خِدرها بغمامةٍ   صيفيـــةٍ فى عارضٍ متهلل
رابٍ روادفها ينـــوء بخصْرِها   كَفَلٌ لهـــا مثل النقا المتهيِّل
أيامَ تبسِم عن نقىٍّ لونُه   صافٍ يزيّنـه سواكُ الإسحِلِ
ذهبتْ بقلبـك فى الأنام ومثلُها   شغَفَ الفؤادَ وسرَّ عينَ المُجْتَلِى

هذا غزل يريد سراقة أن يقلد فيه امرأ القيس ، ولـكنه بعيد عن غزل امرئ القيس الخليع الماجن . فهناك الغزل الصريح والقصص العارية ، وهنا الفتاة الجميلة المخدرة . ثم ينسى سراقة نفسه فيشير إلى أنه يريد تقليد امرئ القيس :

ما زادَ من وَجْدٍ على وَجْدى بهـا   إلا ابْنُ عَمِّى يوم دارة جُلْجُل
عقرَ المطيـةَ إذ عرَضْنَ لعقْرِها   إنَّ الـكريمَ إذا يُهيَّجُ يفْعَـلِ

ويأخذ فى رواية قصة دارة جلجل فى أبيات جد جميلة ، وجد عفيفة . وإن خُلُق سراقة ليغلب عليه ، حتى فى ذلك الموقف الذى يلبس فيه ثوب الخليع الماجن ، فيقول :

فدعِ الفواحش ما استطعتَ لأهلها   وإذا هممتَ بأمر صدق فافعل

وبعض الأبيات الأخلاقية الأخرى . وإنها لعثرة لسان تُبين عن طبع يغالَب ، ولكنه طبع راسخ ثابت الأصول ، وكانت هذه العثرة مؤدّية إلى تنبه سراقة لنفسه وخلقه ، فقال هذه الأبيات الخلقية ، ثم كانت مؤدّية إلى تنبه سراقة لقومه ، فإذا به يفخر بهم ، ويهجو مَعَدّا وكان هذا الفخر قائدا له إلى الفخر بنفسه كشاعر هذه القبيلة العظيمة ، فيسبغ على نفسه كل فضل وكل تفوق . وأين الشعراء الآخرون بجانبه ؟ فقد أصاب من القريض طريقة عجز عنها بقية الشعراء :

ولقد أصبتُ من القريض طريقةً   أعيتْ مصادرُها قرينَ مُهَلْهِلِ

بعد امرئْ القيس المنوّهِ باسمه   أيامَ يهذِي بالدَّخول فحَوْمل

وأرجو أن تفطن إلى خفة الروح التى تظهر فى كلمة « تهذى » فما معلقة امرئْ القيس إلا هذيان .

وأرادَها حسانُ يومَ تعرَّضَتْ   بَرَدَى يصفّق بالرحيقِ السَّلْسَل

وأبو بَصِيرٍ ثمَّ لم يَبْصُرْ بها   إذ حَلَّ من وادى القريضِ بمحفلِ

ويعدد الشعراء واحدا واحدا ، ثم يذكر فى ساقتهم عبد الله بن الزَّبير .

عَمْدًا جعلتُ ابنَ الزَّبير لذنبه   يعدُو وراءهُمُ كعَدْوِ الثيْتَل

وإنها لصورة مضحكة تلك التى رسمها سراقة بهذا البيت ، وإن فيها ما يبين عن رقة سراقة وظرفه .

هذه القصيدة أظنها معارضة لمعلقة امرئ القيس ، لا معارضة بالاصطلاح الدقيق المعروف ، وإنما معارضة بأوسع ما يدل عليه اللفظ ، وهو يمثل الفكرة التى قالها ابن بسام فى كتابه « الذخيرة ، فى محاسن أهل الجزيرة » : إنك إذا أردت أن تعارض قصيدة شهيرة قوية ، فاختَرْ بحرا غير بحرها ، كى تتحرر من أسرها وإغرائها ، وتحسن فى بحرك ما شاء لك الإحسان ، وهذا ما فعله سراقة .

ونحن وإن لم نجد فيها فخامة امرئ القيس وجزالته ، نجد فيها رقة سراقة وعذوبته ، ففيها الروح الفكه ، والظل الخفيف ، والموسيقى العذبة الباسمة ، بخلاف معلقة امرئ القيس

الجادة برغم مجونها، الجزلة برغم خلاعتها، التى لا ترق إلا فى القصص الغرامية ، فالمعلقة ليست فى ظرف قصيدة سراقة، وهو الظريف العراقى، لا الماجن البدوى .

وبالرغم من عذوبة حديث سراقة ، وحلاوة أسلوبه ، نجده يختلف عن عذوبة جرير اختلافا كبيرا ؛ فعذوبة قصيدة سراقة مكتسبة من خفة روحه ؛ أما عذوبة شعر جرير فآتية من رقة ألفاظه وحسن صياغته . فجمال سراقة وابتسامته تطل عليك من بين السطور ؛ أما فى شعر جرير فهى فى نفس الألفاظ . فأشعار سراقة ومعانيه ظريفة، وألفاظ جرير وموسيقاه رقيقة .

وبالرغم من أن سراقة ظريف عراقى ، فإنه يختلف عن أبى نواس الظريف العراقى الآخر، فالأول العراقى الأموى ، والثانى العراقى العباسى ، على مابين عصريهما من تفاوت فى الصراحة الأدبية ، والأخذ بالمثل الأخلاقية ، والتقاليد العربية . فظرف سراقة ليس كمجون أبى نواس ، وإنما تغلب عليه نزعة أخلاقية بالرغم من تدبيره المكايد لأصدقائه ، أما أبو نواس فيفجر ويتماجن ويتفاكه بأفحش الفكاهات مع أصدقائه من النساء والرجال ، فهو ليس بسراقة ، ولا يشبه سراقة ، وإن كانا يجمعهما الظرف ولطف الشمائل .

الرثاء

لا أتكلم كثيرا عن رثاء سراقة ، فهو لا يختلف عن رثاء غيره . ولكنى لاحظت أنه لم يرث أحدا مات حتف أنفه ، وإنما جميع من رثاهم قواد قُتِلوا فى الحروب . وهم إما من بارق أو من الأزد ، فرثاهم باعتباره « شاعر الأزد » ، وهذه مأثرة لسراقة ؛ فهو صادق فى رثائه ؛ لم يتكلف فيه أى شىء من الكذب . ولهذا السبب نجد فى رثائه الكمد والحقد والثورة ، إلى جانب الحزن والحسرة ، فيختلط رثاؤه بالفخر اختلاطا عجيبا . كما لاحظت أن مقتل أحد قواد عصره ، قد يذكره بمن مات فى الحروب الماضية ، فيذكرهم واحدا واحدا ، ليدل بذلك على شجاعة الأزد وبلائها القديم . يقول فى قصيدته :

أعَيْنَىَّ جودا بالدموع السَّواكبِ وكُونا كَوَاهِى شَنَّةٍ مع راكبِ
وكنا بخير قبل قتلِ ابنِ مِخْنَفٍ وكلُّ امرىء يوما لبعض المذاهب

ثم يتذكر القتلى الأقدمين فيقول :

وما الليثُ إذ يعدُو على ألفِ فارسٍ ... وتحتَ هوادى خيلِهم ألف ناشبِ
مُوَازٍ ولا عِذْلٌ لعُرْوَةَ إذ غدَا ... على صفٍّ صِفِّينَ العظيمِ المواكبِ
ولا جُنْدُباً إذ صال بالسيفِ صولة ... على ساحرٍ فى حافةِ السوق لاعِبِ
وكان أخَا ليلٍ طويلٍ قيــامه ... إذا النومُ ألهى حبَّه كلَّ جانبِ
وقيسُ بن عوفٍ فاندبيه بعَبرةٍ ... إذا الخيلُ جالتْ بالرجالِ عصائبِ

الأغراض الأخرى

وبقية الأغراض التى نظم فيها سراقة لا أهمية لها ؛ لأنه لا يقول فيها غير البيتين أو الثلاثة ، لا يزيد على ذلك إلا فى النادر . ولعل كثيرا من شعره ضاع من الرواة، كما قلت من قبل . ولذلك أتركها الآن إلى شىء أهم هو تحقيق شعر سراقة . .

٣ — تحقيق شعر سراقة

فى دار الكتب المصرية نسختان مخطوطتان كاملتان من ديوان سراقة البارق . وقد اعتمدت عليهما كلتيهما فى تحقيق الديوان وشرحه . فرمزت إلى أولاهما بالحرف «ص» ، لأنها الأصل الأول ، وثانيتهما بالحرف « ش » .

النسخة « ص »

النسخة الأولى من الديوان محفوظة تحت رقم ٦١٤ أدب . وهى نسخة مستقلة ، لا تحوى غير ديوان سراقة ، وعدد ورقاتها خمس وثلاثون من القطع المتوسط ، مقياس كل منها ٢٣ × ١٤ سم ، وعدد سطور كل صفحة خمسة عشر سطرا . وهى بخط فارسى معتاد . وقد نقلت عن نسخة محفوظة بالآستانة فى مكتبة عاشر أفندى ، رئيس الكتاب الأسبق بالآستانة ، تمت كتابتها سنة ١٢٧٩ هـ ، وليس عليها اسم الناسخ .

ويتخلل أبيات الشعر شروح وتعليقات قليلة من عمل الرواة ، ولكنها مختلطة ، لا يتميز عمل واحد منهم عن عمل الآخر إلا فى النادر . ولم يخل هامش النسخة من تقييدات تشرح بعض الغامض من الشعر ، وبعضها تصحيح لرواية المتن ، أو تنبيه على نسخ أخرى . وهى غير منسوبة ولا معروفٍ صاحبُها .

وقد جرى الكاتب على أن يكتب بعض كلمات بالمداد الأحمر ، وخاصة عند الانتقال من قصيدة إلى أخرى . والنسخة مضبوطة ، ولكن يشيع فيها الخطأ فى الضبط ، ولعل ذلك من قلم الناسخ .

والنسخة خالية من السماعات المحدثة ، والتمليكات ونحوها ، وقد أضيفت إلى دار الكتب المصرية سنة ١٨٨٣ م .

النسخة « ش »

أما النسخة الثانية فهى ضمن المجموعة رقم ٦ ش أدب . و «ش» رمز لصاحبها ، وهو الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزى الشنقيطى اللغوى المشهور . ويحتوى هذا المجموع

«على جملة وافرة من دواوين العرب العرباء ، وأولها: هذا (ديوان حسان بن ثابت) ، وواحد وثلاثون من دواوين شعراء هُذَيل ، وديوان لَبيد ، وديوان الأعشى ، وديوان ذى الرُّمَّة ، وديوان ابن الدُّمَيْنَة ، وديوان سراقة البارقى[1] » .

ونرى من العبارة السابقة أن ديوان سراقة البارقى آخرها ، وهو يشغل عشر ورقات من صفحة ٢٤٤ إلى ٢٥٤ لأن الديوان يرقم صفحة ويترك الأخرى . ومقياس الصفحة ٢٤×١٨ سم ، وفى كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرا ، وورقها خفيف مصقول .

وهى مكتوبة بالخط النسخى المعتاد ، وليس عليها اسم كاتبها ، وقد فرغ من نسخها فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٩٣ هـ . وبها ضبط قليل للمشتبه من الألفاظ ، وعليها تعليقات وتقييدات بهامشها بالمداد الأحمر ، ويكتب الناسخ صدر مقدمة القصائد بذلك المداد .

ولا نعلم شيئا عن النسخة التى نقل عنها الناسخ هذا الديوان: أهى النسخة «ص» التى فى دار الكتب المصرية؟ أم النسخة التى نقلت عنها «ص» وهى فى الآستانة ؟ أم غيرهما ؟ وقد زار الشيخ الشنقيطى الآستانة ، واستنسخ فيها عدة كتب ، فلعله استنسخ هذا الديوان من ثمة ، لأننا نجد تشابها كبيرا بين هذه النسخة وبين النسخة « ص » فيما حوته من شعر سراقة ، فهى طبق لها ، ولا تكاد تختلف عنها إلا فى تصحيح ما بالنسخة « ص » من تحريف أو تصحيف فى بعض المواضع ، وهى تزيد هذا البيت :

برزنا إذ رَأَيْنَاهم فلمّا رأينا القومَ قد بَرَزُوا إلينا

على ما فى « ص » ، ولعله سقط من ناسخها .

على أنها تمتاز بشىء جوهرىّ ، وهو أن التعليقات التى بالنسخة « ص » كان بعضها فى المتن ، وبعضها على هامش النسخة ، أما فى هذه النسخة فنجد جميع التعليقات بهامشها ، ولا نكاد نجد للشيخ الشنقيطى نفسه أية تعليقات زائدة على تعليقات القدماء ، التى ذكرناها آنفا ، وكلها مكتوب بالمداد الأحمر

(١) عبارة مقدمة النسخة .

الرواة

ديوان سراقة من رواية اللغوى الحسين بن على النَّمَرى ، عن السكرى ، عن الإمام اللغوى محمد بن حبيب ؛ وقد عورض برواية أخرى لابن الأعرابى . أما كاتبه فيسمى نفسه أبا أحمد . وهذا كله منصوص عليه فى النسختين « ص » و « ش » بعد المقطوعة :

أُقَاتِلُ مَهْدِيًّا وَتِلْكَ سَفَاهَةٌ   وَأَمْرٌ بَدَا لِى غَيُّهُ مُتَفَاقِمُ

حيث يقول : « هذا آخر ما وجدته بخط الحسين بن على النمرى ؛ يقول : هذا آخر ما وجدته بخط السكرى ؛ يقول : هذا آخر ما وجدته فى كتاب ابن حبيب ، والحمد لله . ووجدت بخط الشيخ أبى أحمد بعد ذلك : قابلت بجميع ما مضى ، وأعلمت عليه ، وكتبت ما لم يكن ، ووجدت بخط ابن الأعرابى ... » وعبارة « ش » تقرب من ذلك ، كما تذكر أسماء الرواة أكثر من مرة فى التعليقات . وقد ذكر اسم راوٍ آخر يسمى أبا رياش فى تعليقته على البيت :

إن الفرزدقَ بَرَّزَتْ حَلَبَاتُهُ   عَفْوًا وغودِرَ فى الغبارِ جريرُ

وإنى مقدم ترجمة قصيرة لكل واحد من هؤلاء الرواة :

ابن الأعرابى

أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابى ، ولد بالكوفة سنة ١٥٠ هـ = (سنة ٧٦٧ م) . من أب سندى ، كان مولى لعباس بن محمد الهاشمى . وبعد موت أبيه تزوجت أمه المفضل الضبى ، فأصبح أستاذه ، وقرأ أيضا على القاسم بن معن .

وقد قال ثعلب فى ابن الأعرابى : « شاهدت مجلس ابن الأعرابى ، وكان يحضره زهاء مائة إنسان ، وكان يُسأل ويقرَأ عليه ، فيجيب من غير كتاب » . وقال فيه أيضا : « قد أملى على الناس ما يُحمَل على أجمال ، لم يُرَ أحدٌ فى علم الشعر أغزر منه » .

وتوفى عام ٢٣١ هـ وله من العمر ٨١ سنة و ٤ أشهر .

مُحَمَّد ابن حَبِيب

الإمام اللغوى النسابة أبو جعفر محمد ابن حَبِيب بن أمية بن عمرو ، كان مولى لبنى

العباس بن محمد ، وكانت أمه المدعوة « حبيب » مولاة لهم أيضا . وكان ابن حبيب من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل ، وقد جمع قطعة من أشعار العرب . وتتلمذ لابن الأعرابى وقطرب وأبى عبيدة وأبى اليقظان وغيرهم .

ويقول عنه ياقوت : « ثقة مؤدب » . ولكن المرزبانى يقول فيه : « كان يغير على كتب الناس ، فيدعيها ويسقط أسماءهم » . ويقول عنه ثعلب : « حضرتُ مجلسه فلم يُمْلِ ، وكان حافظا صدوقا » .

ووذكر ابن النديم فى الفهرست ٣١ كتابا له لم يَرِد فيها ذكر ديوان سراقة ، وإن كان يذكر أنه جمع شعر الأزد ، فلعل سراقة كان معهم . ولم تعرف دائرة المعارف الإسلامية وجود ديوان سراقة ، ولذلك قالت عنه (عن ابن حبيب) : « ولم يصل إلينا من مؤلفاته الكثيرة إلا رسالة فى أوجه الشبه والخلاف بين أسماء القبائل العربية » .

وتوفى ابن حبيب بسر من رأى فى شهر ذى الحجة عام ٢٤٥ هـ = ٨٥٩ م .

السُّكَّرِىّ

أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله عبد الرحمن بن العلاء بن أبى صُفْرَة ، السُّكَّرى النحوى اللغوى الراوية المُكْثِر . وكان راوية البصريين . وقد جمع أشعار جماعة من الفحول ، كامرئ القيس وزهير وغيرهما ، وأخذ عن أبى حاتم السجستانى والعباس ابن الفرج الرياشى ، ومحمد بن حبيب ، ويحيى بن مَعين ، والحارث بن أبى أسامة ، وأحمد ابن الحارث الخزاز وغيرهم . وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخى .

وكان السكرى ثقة حاذقا حسن المعرفة باللغة والأنساب والأيام ، إذا جمع جمعا فهو الغاية فى الاستيعاب ؛ وذكر له الفهرست نحوا من أربعين كتابا لم يرد فيها ديوان سراقة .

وقد ولد عام ٢١٢هـ وتوفى سنة ٢٧٥ وقيل سنة ٢٩٠ هـ .

النَّمَرِىّ

أبو عبد الله الحسين بن على بن عبد الله النَّمَرى ، المعروف بابن الأعرج ، تلقى العلم على أبى رياش . وقد كان أديبا شاعرا لغويا ، صنف عدة كتب مثل كتاب « اللُّمَع » فى

اللغة ، و « الخيل » و « أسماء الفضة والذهب » و « معانى الحماسة » .

وقد عاش بالبصرة وتوفى عام ٣٨٥ هـ .

أبو أحمد

أما أبو أحمد هذا فلم أعرفه يقينا ، إذ يكنى بهذه الكنية عدد كبير ، ولا يوجد ما يرجح أحدهم على الآخرين . وأشهر من يكنى بها الحسن بن عبد الله بن سعيد بن زيد ابن حكيم العسكرى اللغوى العلامة ، كان من الأئمة المذكورين فى التصرف فى أنواع العلوم ، والتبحر فى فنون الفهوم ؛ سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها ، من أبى القاسم البغوى وأبى بكر بن دريد ونفطويه وغيرهم ، وأكثر وبالغ فى الكتابة ، واشتهر فى الآفاق بالدراية والإتقان ، وانتهت إليه رياسة التحديث والإملاء للآداب ، والتدريس بقطر خوزستان ؛ ورحل إليه الأجلاء . روى عنه أبو نُعيم الأصبهانى وأبو سعد المالينى . وصنف «صناعة الشعراء» . و « التصحيف » و « المختلف والمؤتلف » و « التصحيف » وغيرها .

ولد أبو أحمد العسكرى يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وتوفى يوم الجمعة لسبع خلون من ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة .

أبو رياش

أحمد بن إبراهيم كما جاء فى ياقوت ؛ ولكن السيوطى أتى به فيمن يسمى « إبراهيم » ، ودعاه « إبراهيم بن أبى هاشم أحمد أبو رياش » . ينسب إلى شيبان وإلى قيس ، وهو من اليمامة . وقد كان جنديا فى أول أمره مع المِسْمَعِى ثم انقطع إلى العلم والشعر .

وقال عنه التنوخى فى كتابه » نَشْوَار المحاضرة » : « كان من حفاظ اللغة ، ومن رواة الأدب » . ووصفه الثعالبى فى « اليتيمة » بقوله : « كان باقِعَةً(١) فى حفظ أيام العرب ، وأنسابها ، وأشعارها ؛ غايةً بل آية فى هذ(٢) دواوينها ، وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، وإعراب وإتقان » . ويقال : « إنه كان يحفظ خمسة آلاف ورقة

---

(١) الباقعة : الذكى العارف لا يفوته شىء . (٢) الهذ : القراءة .

لغة ، وعشرين ألف بيت شعر إلا أن أبا محمد المافَرُوخِيّ أبرّ عليه » ؛ وكانت بينهما مساجلات فى الحفظ والرواية .

وقد حكى أبو العلاء المعرى فى وصفه فى كتابه « الرياش المُصْطَنَعِيّ » : « أن أبا رياش كان طويل الشخص ، جهير الصوت ، يتكلم بكلام البادية ، ويظهر أنه على مذهب الزيدية ... » .

واتصل أبو رياش بالوزير المهلبى ، وتوفى عام ٣٣٩ هـ كما جاء فى ياقوت ، أو ٣٤٩ هـ كما يقول السيوطى فى البغية .

منهجى فى تحقيق الديوان

أريد أن أتكلم هنا على بعض الخطوات التى خطوتها فى إخراج الديوان فى صورته هذه .

أول شىء حِرتُ فيه هو التعليقات : أأسير فى إثباتها على طريقة « ص » أم على طريقة «ش» ؟ وبعبارة أوضح أأجعل بعضها فى صلب الديوان ، وبعضها الآخر فى الهامش ؟ وأخيرا ارتحت إلى طريقة « ش » ، فدونتها بين قوسين صغيرين « » فى الحاشية ، رامزا إليها بالحرف « هـ » ، لأنى وجدتها مختلطة ، لا تمتاز تعليقات راو عن تعليقات آخر ، كما وجدت الرمز إليها يكفينى مئونة وضعها حيث اخترت ، حتى تكون الأبيات متتالية متسلسلة ، لا تقوم بينها فواصل غريبة ، ولو كانت هذه الفواصل شرحا لها ، وتعليقا عليها .

ويسوقنى الكلام على التعليقات إلى الحديث عن تعليقاتى ، فأذكر أنى أحببت أن أعرف القارئ بالرجال المذكورين فى الديوان ، فأتيت لهم بترجمات مختصرة ، أرجو أن تكون كافية . وقد تجاهلت بعض الرجال لبروزهم وشهرتهم . أما غير الترجمة فلم أفعل شيئا إلا شرح بعض الأبيات راجيا أن أكون موفقا فى ذلك الشرح .

وتركت الديوان فلم أدخل عليه تغييرا فى نظامه ، ولكنى تسهيلا للقارئ ألحقت به سبعة فهارس ، هى : فهرس الأعلام ، وفهرس الموضوعات ، وفهرس تاريخى لتاريخ القصائد . وأخصص فهرسين بالحديث : فهرس القبائل ، وفهرس التاريخ .

أما الأول فقد أدخلت فيه الخوارج والشيعة والأمويين والديلم ، وهم ليسوا قبائل ، وإنما أحزاب أو أجناس . ولكنى لاحظت فيهم الجماعة ، فلم أذكرهم فى فهرس الأعلام ، ووجدت أنهم إلى القبائل أقرب منهم إلى الأفراد .

أما الفهرس التاريخى فإنى رتبته بحسب ما جاء فى القصائد أو الديوان من إشارات تاريخية . فرجعت إلى الطبرى والكامل والبداية والنهاية والمنتظم ، فاستنبطت منها تاريخ وقوع هذه الحوادث ، وأرّخت بها القصائد . وقد يكون فى ذلك بعض الخطأ ، لأن الشاعر قد يتناول الحادث القديم ، وينظم فيه القصائد ، ولكنى رجحت أن سراقة نظم قصائده بعد وقوع الحوادث مباشرة ، أو بزمن قليل ، وذلك لأهمية الحوادث وتأثيرها ، ذلك الأمر الذى يُملى على الشاعر نظم قصائده فورا ، وكذلك لامتلاء حياة سراقة بالحوادث مما لا يترك له فراغا ، يشغل نفسه فيه بالكتابة أو الحديث عن الحوادث الماضية ، وهو لو تحدث عن الماضى فإنما يتحدث عنه كذكرى أثارتها الحوادث الراهنة ، كما يظهر ذلك فى بعض مراثيه .

وقد وجدت بعض المقطوعات والقصائد التى لم أستطع تاريخها ، لعدم ورود إشارات تاريخية بها ، فأوردتها آخر الفهرس دون ترتيب ودون تأريخ . وقد ورد فى قصة الأغانى اسم حسان بن كيسان ، وأنه كان والى الكوفة فى ذلك العهد ، فبحثت كثيرا عنه ، فلم أجدله ذكرا ؛ وأرجح أنه كان زمن بشر بن مروان أو الحجاج ، لأنهما كان يُنيبان ولاة عنهما على الكوفة إذا خرجا منها ، فتكون تلك المقطوعة قد قيلت بين عامى ٧١ و٧٩ هـ .

***

خاتمة :

قلت إن ديوان سراقة لم ينشر فى طبعة مستقلة قبل هذه الطبعة . ولكن « س . م . حسين الهندى » قد نشره فى مجلة الجمعية الملكية الأسيوية بلندن فى جزأى يولية وأكتوبر من سنة ١٩٣٦ نقلا عن مخطوطة بالمكتبة الأهلية فى ڤينا ، وهى منقولة عن نسخة ألمانية ، نُقِلت عن نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة : المحفوظة برقم ٦١٤ أدب ، وعن النسخة ٦ ش أدب بدار الكتب المصرية أيضا . وعن نسخة عاشر أفندى بالقسطنطينية .

المراجع

مراجع تحقيق الشعر

ابن جرير الطبرى	:	تاريخ الأمم والملوك ، ورمزت إليه بالحرف « ط »
ابن الأثير	:	الـكامل « « « « « ك »
ابن كَثِير	:	البداية والنهاية « « « « « ب »
ابن عساكر	:	تاريخ دمشق « « « « « س »
الآمدى	:	المؤتلف والمختلف « « « « « م »
ياقوت	:	معجم البلدان « « « « « ى »
ابن قُتيبة	:	عيون الأخبار « « « « « ع »
أبو الفرج الأصبهانى	:	الأغانى « « « « « غ »
الزجاجى	:	الأمالى « « « « « ز »
ابن عبد ربه	:	العقد الفريد « « « « « ف »

مراجع المقدمة

ديوان امرئ القيس

« علقمة الفحل

« طفيل الغنوى

« سلامة بن جندل

المعلقات

شعر النابغة الجعدى

شعر أبى دواد الإيادى

شرح الشافية للرضى

المحاسن والأضداد للجاحظ

النوادر لأبى زيد الأنصارى

معجم الأدباء لياقوت

نزهة الألبا لابن الأنبارى

بغية الوعاة للسيوطى

الفهرست لابن النديم

ديوان سراقة البارقي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين(1)

قال(2) محمد ابن حبيب :

---

(1) زيادة عن ش .

(2) ورد هذا الخبر فى كتب التاريخ مفصلا تفصيلا شافيا ، يختلف بعض الاختلاف عن رواية ابن حبيب ، وخاصة فى أسماء قواد الأرباع . فآثرت أن أورده هنا ، كى أوضح جو المعركة التى أنتجت هذه القصيدة ، وعدة قصائد أخرى من شعر سراقة ، وهاك ما ورد فى كتاب أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وقد ذكره فى حوادث عام ٧٤ هـ وأكمله فى عام ٧٥ هـ . قال :

ولما صار بِشْر بالبصرة كتب عبدالملك إليه ... « أما بعد ، فابعث المُهَلَّب فى أهل مصره إلى الأزارقة ، ولْينتخب من أهل مصره وجوههم و فُرسانهم ، وأولى الفضل والتجربة منهم ، فإنه أعرف بهم ، وخَلِّه ورأيه فى الحرب ، فإنى أوثَقُ شىء بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابعث من أهل الكوفة بَعثا كثيفا ، وابعث عليهم رجلا معروفا ، شريفا حسيبا صليبا ، يُعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ، ثم أنهِضْ إليهم أهل المِصْرَيْن ، فَلْيتَّبعوهم أى وَجه ما توجهوا ، حتى يبيدهم الله ويستأصلهم ؛ والسلام عليك » .

وشق على بشر أن إمرة المُهَلَّب جاءت من قِبَل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأوغرت صدره عليه ، كأنه كان إليه ذنب ، ودعا بشرُ بن مروان عبدَ الرحمن بن مِخْنف . قال : دعانى بشر بن مروان ، فقال لى : إنك عرفت منزلتك منى ، وأثَرَتَك عندى ، وقد رأيت أن أوليك هذا الجيش ، للذى عرفت من جزْئك وغَنائك ، وشرفك وبأسك ، فكن عند أحسن ظنى بك . انظر هذا الكذا كذا (يقع فى المهلب) فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلنّ له مشورة ولا رأيا ، وتنقّصه وقصر به . فترك أن يوصينى بالجند ، وقتال العدو ، والنظر لأهل الإسلام ، وأقبل يغرينى بابن عمى ، كأنى من السفهاء ، أو ممن =

=يستَقْصي ويستجهل . مارأيت شيخا مثلى فى مثل هيئتى ومنزلتى ، طُمع منه فى مثل ما طمع فيه هذا الغلام منى ، شَبَّ عمرو عن الطوق . ولما رأى أنى لستُ بالنشيط إلى جوابه ، قال لى : مالك ؟ قلت : أصلحك الله ، وهل يسعنى إلا إنفاذ أمرك فى كل ما أحببتُ وكرهتُ . قال : امْضِ راشدا ... فودعته وخرجت من عنده

وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رامَهُرْمز ، فلقى بها الخوارج ، فخندق عليه . وأقبل عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة ، على رُبع أهل المدينة ، معه بشر بن جرير ، وعلى رُبع تميم وهَمْدان محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وعلى رُبع كندة وربيعة إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وعلى ربع مذحج وأسد زَحْر بن قيس . فأقبل عبد الرحمن حتى نزل من المُهلب على ميل أو ميل ونصف ، حيث تراءى العسكران برامهرمز ، فلم يلبث الناس إلا عشرا حتى أتاهم نعى بشر بن مروان ، وتوفى بالبصرة ، فارفضّ ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة» .

ثم يقول الطبرى فى حوادث عام ٧٥ هـ ، بعد أن يذكر ولاية الحجاج للعراق ، وإرجاعه المنفضين عن المهلب وابن مخنف :

« ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامهرمز ... وأجْلَوْهم ... من غير قتال شديد ، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابور ، بأرض يقال لها كازَرُون . وسار المهلب وعبد الرحمن بن مخنف حتى نزلوا بهم ... فخندق المهلب عليه . فذكر أهل البصرة أن المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إنْ رأيت أن تخندق عليك فافعل ؛ وأن أصحاب عبد الرحمن أبَوْا عليه ، وقالوا : إنما خندقنا سيوفنا ؛ وأن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلا ليُبيتوه ، فوجدوه قد أخذ حِذْره ، فمالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف ، فوجدوه لم يخندق ، فقاتلوه ، فانهزم عن أصحابه ، فنزل فقاتل فى أناس من أصحابه ، فقُتِلَ وقُتِلوا حوله . فقال شاعرهم :

لِمَنِ العَسْكرُ المُكَلَّلُ بالصَّرْ ... عَى فَهُمْ بين مَيِّتٍ وَقَتِيلِ
فَتَرَاهُمْ تَسْفِى الرِّيَاحُ عليهمْ ... حاصِبَ الرَّمْلِ بعدَ جَرِّ الذُّيُولِ

وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا ... (أنهم) اقتتلو قتالا شديدا ، لم يكن بينهم فيما مضى قتال كان أشد منه ، وذلك بعد الظهر ، فمالت الخوارج بحدِّها على المهلب بن أبى صفرة ، فاضطروه إلى عسكره ، فسرَّحَ إلى عبدالرحمن رجالا من صلحاء الناس ، فأتوه=

ذَكَرُوا أنّ بِشر بن مَرْوانَ(١) لمّا بعث عبدَ الرحمن بن مِخْنَف(٢) إلى

=فقالوا: إن المهلب يقول لك : إنما عدونا واحد ، وقد ترى ما قد لقى المسلمون ، فأمِدَّ إخوانك يرحمك الله . فأخذ يمده بالخيل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فلما كان بعد العصر ، ورأت الخوارج ما يجىء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال ، إلى عسكر المهلب ، ظنوا أن قد خفَّ أصحابه ، فجعلوا خمس كتائب أو ستًّا تجاه عسكر المهلب ، وانصرفوا بحدّهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مِخنف ، فلما رآهم قد صمدوا ، نزل ونزل معه القراء ... ونزل معه من خاصة قومه أحد وسبعون رجلا ، وحملت عليهم الخوارج ، فقاتلهم قتالا شديدا ، ثم إن الناس انكشفوا عنه ، فبقى فى عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه . وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فنادى فى الناس ليتبعوه إلى أبيه ، فلم يتبعه إلا ناس قليل ، فجاء حتى إذا دنا من أبيه ، حالت الخوارج بينه وبين أبيه ، فقاتل حتى ارْتُثَّته الخوارج ، وقاتل عبد الرحمن بن مِخنف ومن معه على تَل مشرف ، حتى ذهب نحوٌ من ثلثى الليل ، ثم قُتل فى تلك العصابة .

(١) بشر بن مروان الأموى أخو عبد الملك بن مروان ، ولى إمرة الكوفة عام ٧١ هـ بعد مقتل مصعب بن الزبير ، ثم جمعت له البصرة عام ٧٣ هـ . وظل واليا على العراقين حتى وفاته عام ٧٤ هـ . وكان سمحا جوادا طليق الوجه ، يجيز على الشعر بالألوف ، مدحه الشعراء ، مثل الأخطل وجرير والفرزدق وسراقة ، وكان شجاعا اشترك فى موقعة مَرْج راهط ، وقَتَل خالدَ بنَ حُصين الكلابى . وكان ذا ذوق أدبى ، يحب إثارة بعض الشعراء على بعض ، فيتراسلون بالأهاجى ، ويطرب هو لتلاحيهم ، وهو الذى حرَّض سراقة على جرير .

(٢) عبد الرحمن بن مِخنَف القائد الأزدى ، حارب مع الإمام علىّ هو وأبوه فى موقعة صفين . وقد حارب النعمان بن بَشير الصحابى ، الذى كان فى صف معاوية ، ولما خرج المختار ثار عليه يوم جَبانة السَّبيع ، فجُرِح ، ونُقل إلى زوجته . ثم أرسله بشر بن مروان على رأس جيش الكوفة عام ٧٤ هـ ليحارب الخوارج مع المهلب ، وأخذ يحاربهم ، حتى تمكن منه قَطَرِىّ بن الفُجاءة ، فقتله ومن معه قرب كازرون عام ٧٥ هـ .

الأزارقة[١] دعاه ، فقال له : إن أمير المؤمنين[٢] كتب إلىّ ، يأمرنى أن أبعثك إلى الأزارقة ، فى مُقَاتِلَة[٣] أهل الكوفة ، فإذا أتيت المُهَلَّب[٤] فانزل منه ناحية ، ثم افعلْ كذا وكذا . فجعل يغريه بالمهلب . وقال له : استبدّ بالأمر عليه ، فأنت أشرف منه . فلما خرج عبد الرحمن سأله أصحابه[٥] : ما الذى أوصاك به الأمير ؟ فقال لهم : ترك[٦] أن [يغرينى][٧] بقتال عدوّه وعدوى ، وأقبل يغرينى بابن عمى . فسار عبد الرحمن ومعه أصحاب الأرباع[٨] : أرباع الكوفة ، على

---

(١) فرقة متطرّفة من الخوارج ، تنسب إلى نافع بن الأزرق . تُوجب قتال المسلمين ، وتكفر القَعَدَة ، كما تدعى أن المسلمين قد كفروا ، ولن يتوبوا إلا بالخروج ، ولها آراء أخرى كثيرة ، تخالف بها المسلمين وبقية الخوارج .

(٢) يريد عبد الملك بن مروان .

(٣) المقاتلة : الجند .

(٤) المُهلب بن أبى صُفرَة القائد هو الذى وقف للخوارج بالمرصاد ، وقد استعان به الشيعة والزبيريون والأمويون لقتالهم ، وكان يحاربهم أيضا بابتكار الأحاديث من عنده حتى اشتهر بالكذب . وكان رب أسرة حربية كبيرة ، ومن أشجع أولاده : يزيد ، والمغيرة . وقد توفى عام ٨٢ هـ .

(٥) هـ : « الناس » .

(٦) « ترك » كذا فى ش . وفى ص : « نزل » وهو خطأ ظاهر .

(٧) زيادة عن ش وهى ساقطة من ص ، ومكانها فراغ .

(٨) عند ما أُسست الكوفة قسمت إلى أربعة أرباع . ثم نزلت كل قبيلة مكانا خاصا منها ، تسكنه مجتمعة ولا تسكن غيره ، ولذلك كانت الكوفة مقسمة تبعا لهذه القبائل ، وكانت عند ما تخرج لمحاربة أهل البصرة مثلا ، تقف أزد الكوفة أمام أزد البصرة ، وتميم الكوفة أمام تميم البصرة ، وكل قبيلة أمام أختها فى المدينة الأخرى ، تقاتلها بنفسها .

رُبْع أهل المدينة جريرُ بن عبد الله(١)، وعلى رُبْع تميم(٢) وهَمْدان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهَمْدانى(٣)، وعلى رُبْع مَذْحج وأسد إبراهيم بن الأشتر النَّخَعىّ(٤)، وعلى رُبْع ربيعة وكِندة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. فلما قدم ابن مِخْنَف نزل من المُهَلَّب على أربعة أميال، فأتاه المهلب زائرا، فقال له: أنا أعلم بقتال هذا العدو منك، فمُرْ بخندق عليك، وأصحاب أرباعه يسمعون، فقال عبد الرحمن بن محمد [بن](٥) الأشعث لهم: والله، [لَهُم](٦) أهون علينا من ضَرْطة الجمل(٧) فلُقِّب يومئذ «ضَرْطة الجمل»، والأشاعثة يغضبون منها.

---

(١) تذكر كتب التاريخ أنه توفى عام ٥٢ أو ٥٤ هـ، فليس من المعقول إذن أن يحضر هذه الموقعة التى كانت عام ٧٤ أو ٧٥ هـ.

(٢) «تميم» كذا فى ش، ط. وفى ص. «أهل تميم».

(٣) قُتل عام ٦٦ هـ يوم جَبَّانة السبيع.

(٤) توفى عام ٧١ هـ. ومن تواريخ الوفاة نجد أننا أمام أحد ثلاثة أشياء: فإما أن نقول إن المعركة كانت قبل عام ٧٥ هـ والطبرى مخطئ وكذلك كتب التاريخ الأخرى، وإما أنهم لم يتوفوا فى هذه التواريخ، وتكون كتب التاريخ مخطئة أيضا، وإما أن نخطّئ رواية ابن حبيب وهو الأولى، بدليل أن الطبرى ذكر أسماء أخرى غير التى ذكرها ابن حبيب، فليراجع فيما نقلناه عنه فى صفحة ٣٨

(٥) زيادة واجبة، ساقطة من الأصلين.

(٦) زيادة من الطبرى يقتضيها السياق، ساقطة من الأصلين.

(٧) روى الطبرى هذه الحادثة فى حوادث عام ٧٢ هـ. ولم يكن ابن الأشعث تحت إمرة ابن مِخْنف، وأحببت أن يشاركنى القارئ فى الاطلاع عليها، فأوردتها هنا:

« وكتب عبد الملك إلى بشر بن مروان: « أما بعد، فإنى كتبتُ إلى خالد بن عبد الله آمره بالنهوض إلى الخوارج، فَسَرِّحْ إليه خمسة آلاف رجل، وابعث عليهم رجلا من قِبلك ترضاه، فإذا قضوا غزاتهم تلك، صرفتهم إلى الرّى، فقاتلوا عدوهم، وكانوا فى مسالحهم، وجبَوْا فيئهم، حتى تأتى أيام عقبهم فتُعقبهم، وتبعث آخرين مكانهم ». فقطع على أهل =

وقالت امرأة من أهل البصرة ، حين انهزم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث من الحجاج بن يوسف ، تُعيِّره هزيمته :

تَرَكْتَ وِلْدَتَنا تَدْمَى نُحُورُهُمُ ... وَجِئْتَ مُنْهَزِمًا يَاضَرْطَةَ الْجَمَلِ[1]

فقال أهل الكوفة : خنادقنا أسيافنا . فمكث قطرِىّ بن الفُجاءة[2] أياما ، ثم أتى المُهلّب فأناخ بخندقه ، فقاتله يومَه ذلك حتى العصر ، وبعث المُهلَّب إلى عبدالرحمن بن مِخْنَف : إن عدوَّنا واحد ، ويدنا واحدة ، فأمِدَّنِى بمن قِبلك. فندب عبدُ الرحمن الناس إلى المُهلَّب مع جعفر ابنه ، فانتدب معه خَمْسُ مِئَة ،

= الكوفة خمسة آلاف ، وبعث عليهم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ... وجاء عبدالرحمن ابن محمد ببعث أهل الكوفة ، حتى وافاهم بالأهواز ... ومرّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يخندق ، فقال له : يابن أخى ، ما يمنعك من الخندق ؟ فقال : والله ، لهم أهون علىّ من ضرطة الجمل . قال : فلا يهونوا عليك يابن أخى ، فإنهم سباع العرب ، لا أبرح أو تضربَ عليك خندقا . ففعل ، وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد : « لهم أهون علىّ من ضرطة الجمل » فقال شاعرهم :

يا طالبَ الحقِّ لا تَسْتَهْوِ بالأملِ ... فإنَّ مِن دونِ ما تَهْوَى مَدَى الأجلِ
واعمَلْ لِربِّكَ واسألْهُ مَثُوبَتَهُ ... فإنَّ تَقْواهُ فاعلمْ أفضلُ العملِ
واغزُ المَخَانِيثَ فى المَاذِىِّ مُعْلَمَةً ... كيْمَا تُصَبِّحَ غدْوا ضَرْطَةَ الجَمَلِ

(١) الولدة : جمع وليد . وفى ش : « نخورهم » بالخاء موضع « نحورهم » بالحاء ، وهو خطأ .

(٢) الشاعر القائد الشجاع ، انتخبه الأزارقة أميرا لهم بعد مقتل الزبير بن الماحوز عام ٦٨ هـ . وكانت بينه وبين المهلب وقائع شديدة . وفى أواخر أيامه اضطربت عليه الخوارج وانفض كثير منهم من حوله ، وقتل عام ٧٩ هـ . وله شعر يمتاز بصدق العاطفة وقوتها ، وهو القائل يخاطب نفسه .

أقولُ لها وقد طارتْ شعاعًا ... من الأبطالِ وَيْحكِ لا تُراعِى
فإنكِ لو طلبتِ بقاءَ يومٍ ... على الأجلِ الذى لكِ لم تُطَاعِى

فشدّوا على جانب عسكر قَطَرِىّ ، فأفرجوا لهم ، فدخلوا خندق المُهَلّب . ثم قال قَطَرِىّ ، لأصحابه : مِيلُوا إلى أهل الكوفة ، فإنه لا بُقْيَا لهم بعد من أراه خرج من معسكرهم . فمال إليهم ، فقاتلوهم بقية يومهم وليلتهم حتى جَنَّ الليل ، وطلع القمر لسَبْع بقين من الشهر ، وبعث عبد الرحمن بن مِخْنَف إلى المُهَلّب ابن أبى صُفْرَة يستمده ، فقال بعض الناس : لم يُمِدَّه برجل ، ندب الناس إليه ، فقالوا : لا نقوى أن نمده مع ما لقينا من التعب يومنا هذا . وقال آخرون : لا ، بل خَذَلَهم عمداً . وأتاهم جعفر بن عبد الرحمن فيمن كان معه من أهل الكوفة وقليل من أهل البصائر من أهل البصرة ، فقاتلوهم من ورائهم حتى قُتل وقُتل من (١) معه ، وقُتل عبد الرحمن وأصحابه .

فقال سُرَاقة بن مِرْدَاس البَارِقِىّ فى ذلك ، يرثى عَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ مِخْنَف ، ويذكر خِذلان المُهَلّب إياه :

ثَوَى سَيِّدُ الْأَزْدَيْنِ أَزْدِ شَنُوءَةٍ … وَأَزْدِ عُمَانٍ رَهْنَ رَمْسٍ بِكَازَرِ (٢)
وَقَاتَلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ … بِأَبْيَضَ صَافٍ كَالْعَقِيقَةِ بَاتِرِ (٣)
[وَصُرِّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لِوَائِهِ … كِرَامُ الْمَسَاعِى مِنْ كِرَامِ الْمَعَاشِرِ] (٤)

(١) زيادة من ش .
(٢) « الأزدين » كذا فى ط . وفى ك : « الأزدابن » . وفى ى : « للأزد » . وفى ص ، ش : « للأسد » . و « أزد شنوءة وأزد عمان » كذا بالزاى فى ط ، ك ، ى . وفى ص ، ش : « أسد » بالسين . « ورهن » كذا فى ط ، ك ، ى . وفى ص ، ش : « وهو » . والرمس : تراب القبر . وفى « ه : كازرون » وهى بأرض سابور من فارس .
(٣) « قاتل » كذا فى ص ، ش . وفى ط ، ك ، ى : « ضارب » .
(٤) « حول التل وتحت » كذا فى ط ، ى . وفى ك : « عن تل وتحت » . وهذا البيت زيادة من ط ، ك ، ى . وساقط من ص ، ش .

قَضَى نَحْبَهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ ابنُ مِخْنَفٍ وَأَدْبَرَ عَنْهُ كُلُّ أَلْوَثَ دَاثِرِ[١]

أَمَـدَّ وَلَمْ يُمْدَدْ وَمَاتَ مُشَمِّرًا إلى اللهِ لم يَذْهَبْ بِأَثْوَابِ غَادِرِ[٢]

***

وقال سراقة أيضا يرثيه[٣]

إنْ يَقْتُلُوكَ أَبَا حَكِيمٍ غَدْرَةً فَلَقَدْ تَشُدُّ فَتَقْتُلُ الأَبْطَالَا[٤]

إنْ يُثْكِلُونَا سَيِّدًا لِمُسَوَّدٍ ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ مَاجِدًا مِفْضَالَا[٥]

فَلِمِثْلِ قَتْلِكَ هَدَّ قَوْمَكَ كُلَّهُمْ مَنْ كَانَ يَحْمِلُ عَنْهُمُ الأَثْقَالَا

مَنْ كَانَ يَحْمِلُ غُرْمَهُمْ وَيَحُوطُهُمْ يَوْمًا إذا كَانَ الضِّرَابُ نِزَالَا[٦]

---

(١) « ألوث » كذا فى ط ، ك ، ى . وفى ص ، ش : « دوث » . والألوث : الضعيف . و « داثر » كذا فى ى ، والداثر : الهالك . وفى ص ، ش : « دابر » . وفى ط ، ك : « غادر » .

(٢) ط : « فلم » . وباقى النسخ : « ولم » . وفى ط ، ك : « فراح » فى موضع « ومات » . و « غادر » كذا فى ص ، ش ، ى ، ك . وفى ط : « فاجر » .

(٣) أورد الطبرى بعض أبيات هذه القصيدة ونسبها لشاعر يسمى « حُمَيْد بن مسلم »

(٤) « غدرة » كذا فى ط . وفى ص ، ش : « مرة » . وفى ط : « وتقتل » موضع « فتقتل » .

(٥) ط : « أو » فى موضع « إن » . والثُّكل : فقدان المرأة ولدها ، وكذا الثَّكل . و « لمسود » كذا فى ط ، وفى ص ، ش : « ولسيد » . والمعنى سيد ابن سيد أى نسيبٌ ذو نسب عريق . وفى ط : « سمح الخليقة » فى موضع « ضخم الدسيمة » . وفى ه : « الدسيعة الخلق ، ويقال الجفنة » . وهنا لا تكون الدسيعة إلا بمعنى الجفنة أو العطية الجزيلة أو المائدة الكريمة .

(٦) ط : « يكشف » فى موضع « يحمل » ، و « قتالهم » فى موضع « ويحوطهم » ، =

أقسمتُ ما نِيلَتْ مقاتِلُ نفسِهِ ... حتّى تسَرْبَلَ مِنْ دمٍ سِرْبالا[١]
وتناجَزَ الأبْطالُ حَوْلَ لِوائِهِ ... بالمشْرفيّةِ في الأكُفِّ نِضالا[٢]
يوْماً طَويلاً ثُمّ آخِـــرَ ليْلِهِمْ ... حتّى اسْتبانُوا في السّماء هِلالا[٣]
وتفرّجت عنْهُ الصُّفُوفُ وخيْلُهُ ... فهُناكَ نالتْهُ الرِّماحُ نِهالا[٤]

***

وقال سراقة أيضا

مَتَى مَا تَلْقَ بِي خَيْـــلاً تَداعَى ... وَدُونَ فِراقِها وَجَعٌ وَمَـوْتُ
فَلَسْتُ بِكارِهٍ لِلِقَـــاء رَبِّي ... وَلاَ فَرِحِ الفُؤَادِ إذا نَجَوْتُ

=و «القتال» فى موضع «الضراب». ويحوط: يكلأ ويرعى. والضراب: القتال. وفى هـ: «النزال: المنازلة فى الحرب».

(١) «نيلت» كذا فى ط. وفى ص: «سبلت». وفى ش: «سلبت». ونيلت مقاتله أى أصيب فى المواضع التى تسبب الموت عند إصابتها. وفى ط: «تدرع» فى موضع «تسربل». وتسربل بمعنى تدرع أى لبس قميصا، والمعنى أن الدم غطاه فكأنه قميص له.

(٢) فى ش: «تناحر» بالحاء. وتناجز القوم أى سفك بعضهم دم بعض. وفى ط: «تحت» فى موضع «حول». وفى ش: «فى المشرفية» وهو خطأ. والمشرفية: السيوف المنسوبة إلى مشارف الشام. و«نضالا» بالضاد فى هـ. وفى ص، ش: «نصالا» بالصاد.

(٣) «ليلهم» كذا فى ط، وفى ص، ش: «ليلة» ولكن رواية ط أولى لأن الموقعة لم تستمر غير يوم. وفى ط «حين» فى موضع «حتى». واستبان الهلال: ظهر واستبانوه: رأوه.

(٤) ط: «تكشفت» فى موضع «تفرجت» والروايتان بمعنى واحد. والخيل تكون بمعنى الفرسان أيضاً. «نهالا» كذا فى نسخة مجلة الجمعية الملكية الأسيوية. وفى الأصول «فالا»، والنهال: المرتوية.

أُقَاتِلُ حِينَ أُعْرَفُ وَسْطَ قَوْمِي ... وأَسْتَحْيِي الْكِرَامَ إِذَا نَبَوْتُ(١)

وَأَصْــــبِرُ فِي أُمُورٍ قَدْ عَرَتْنِي ... فَمَا جَزِعَ الفُؤَادُ وَمَا شَكَوْتُ(٢)

وَلَسْتُ بِلَاطِمٍ وَجْهَ ابْنِ عَمِّي ... وَشُلَّ الْخِمْسُ مِنِّي إِنْ نَصَوْتُ(٣)

وَلَا أَلْهُو بِقَيْنَةِ أَقْرِبَائِي ... وَمَا عِلْمِي بِهِنَّ إِذَا قَفَوْتُ(٤)

كَذَاكَ نَشَأْتُ فِي قَوْمِي صَغِيرًا ... وَرَبَّوْنِي بِذَلِكَ إِذْ رَبَوْتُ(٥)

***

وقال سراقة

لَا تَنْكِحَنَّ الدَّهْرَ إِنْ كُنْتَ نَاكِحًا ... مُلَفَّفَةً مِمَّا تَضُمُّ الدَّسَاكِرُ(٦)

وَتُبْتُهَا تَسْرِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّهَا ... بِجَوْخَى وَهَلْ تَسْرِي بِجَوْخَى الْحَرَائِرُ(٧)

---

(١) هـ : « يقول : إذا كانت منى نَبْوة فكلمنى كريم استحييته ، ويكون أيضا نَبَا به الزمان . وقَلَّ ماله ، فنزل به ضيف ، فاستحيا من ردّه » .

(٢) عرا : أصاب . وفى ش : « لا » فى موضع « ما » .

(٣) اللطم : الضرب على الوجه بباطن الكف . والخمس : أصابع اليد ، ويقصد اليد ذاتها . وفى هـ : « نصوتُ : أخذت بناصيته » .

(٤) القينة : الأمة مغنية كانت أو غير مغنية . وفى هـ : « قفوت : أى مضيت » .

(٥) هـ : « من التربية » .

(٦) « ملففة » كذا فى ش . وفى ص : « ملفقة » . وملففة أى مستترة محتشمة ، أى لا تتزوج من النساء المتحشمات فى القرى اللائى يسرْن بجوخى ليلا . والدساكر : القرى ، وتطلق على القصر الذى حوله بعض البيوت .

(٧) سرَى يسرى سُرًى وأسْرَى أى سار ليلا . وجنها الليل : سترها . وجوخى : بلد بالعراق تسق من نهر جوخى .

لها مِغْزلٌ حنَّانُ حينَ تُديرُهُ   ومِنْ كَامِخِ الفَرْهى جِرارٌ حوادِرُ(١)

* * *

وقال سراقة

مُجالَسَةُ السفيهِ سَفاهُ رأيٍ   وَمِنْ حِلْمٍ مُجالَسةُ الحليمِ
فإنَّكَ والقَرِينَ مَعًا سَــواءٌ   كما قُدَّ الأديمُ على الأديمِ(٢)

* * *

وقال سراقة يهجو جرير بن الخطفى(٣)

لَعَمْرُكَ إنَّ في الحياةِ لخائنٌ   لِبِشْرٍ على أنْ لستُ مُترَكا ذَحْلا(٤)
إذا كانَ قلبي للخليفةِ ناصحًا   ووجهُ الأميرِ حينَ أحضُرُهُ سَهْلا(٥)
تَهَضَّمْتُ أعدائي وجاشتْ مَراجِلي   تخالُ القُمامَ تحتَها حطبًا جزْلا(٦)

---

(١) الشطر الأول كذا فى هـ . وفى ص ، ش : « لها مغزل أعيا إذا ما تديره » والروايتان تريدان أنها لا تعرف أن تعمل. وحنان : مصوّت . والكامخ : نوع من الطعام الشبيه بالسلاطة من المشهيات . وفى هـ : « الفرهى : الكبر ، و حوادر : عظام » . يريد أنها تكثر من المشهيات ، لتأكل كثيرا ، فيمتلىء جسدها وتسمن .

(٢) قد : قطع . والأديم: الجلد. وفى ص ، ش: «الأديم من الأديم» ، وهو تحريف .

(٣) انظر سبب الهجاء بينهما فى المقدمة .

(٤) مترك : تارك . و الذحل : الثأر .

(٥) الخليفة هو عبد الملك بن مروان . و الأمير هو بشر بن مروان . والوجه السهل : الطلق المنبسط الأسارير.

(٦) تهضم : ظلم . وجاش : غلى واضطرب . وفى هـ : « القمام صغار الحطب » والمعاجم تقول إنه الكناسة . وفى ص ، ش : « جرلا » بالراء . تحريف .

فإن أهجُ يَرْبُوعًا فإنّى لا أرى ... لشَيْخِهِمُ الأقْصَى على ناشِيءٍ فَضْلَا[1]
صِغَارٌ مَقَارِيهِمْ ، عِظَامٌ جُمُورُهُمْ ... بِطَاءٌ إلَى الدَّاعِى إذا لَمْ يَكُنْ أَكْلَا[2]
قُبَيِّلَةٌ لا يُدْرِكُونَ بِتَبْلِهِمْ ... وَلَا يَسْبِقُونَ الدَّهْرَ مُطَّلِبًا تَبْلَا[3]
سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الحِمَارِ فَلَا تَرَى ... لِذِى شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيءٍ فَضْلَا
لَعَمْرِى لَقَدْ بَاعَ الفَرَزْدَقُ نَفْسَهُ ... بِوَكْسٍ وَجَارَى لَا كَفِيًّا وَلَا فَحْلَا[4]

***

وقال أيضا يهجو جريرا

لِمَنِ الدِّيَارُ كَأَنَّهُنَّ سُطُورُ ... قَفْرٌ عَفَتْهُ رَوَامِسٌ وَدُهُورُ
تَخْشَى رَبِيعَةُ أَنْ أُلِمَّ بِدَارِهَا ... وَكَأَنَّنِى بِطِلَابِهَا مَأْمُورُ[5]
طَارَتْ عُقَابِى طَيْرَةً فَتَحَيَّرَتْ ... وَحَمَتْ بُوَازِ صَيْدَهَا وَصُقُورُ
[يا بِشْرُ حَقٌّ لِوَجْهِكَ التَّبْشِيرُ ... هَلَّا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنْتَ أَمِيرُ][6]

---

(١) يربوع : رهط جرير . وفى ش : « فإننى » بدلا من : « فإنى » .

(٢) المقارى : القدور والقصاع ، أى هم بخلاء . والجمور : الأدبار ، أى هم شرهون وفى ه : « يقول : هم أصحاب بطون » .

(٣) التبل : الثأر . والمُطَّلِب : الطالب . يصفهم بالضعف فإن كان لهم ثأر لم يستطيعوا الأخذ به ، وإن كان لأحد عندهم ثأر لم يستطيعوا الإفلات منه .

(٤) الوكس : النقص . وجاراه : جرى معه ، أى سابقة ونافسه . والكفى : الكفء .

(٥) ص،ش : «أخشى» والمعنى لا يتضح إلا بالتغيير الذى أحدثته . والطلاب : الطلب.

(٦) هذا البيت من قصيدة جرير التى ردَّ بها على سراقة ، وإنى موردها هنا ، للمضاهاة بين القصيدتين :

يا صَاحِبَىَّ هلِ الصباحُ مُنِيرُ ... أمْ هَلْ لِلَوْمِ عَوَاذِلِى تَفْتِيرُ
أَنَّى تَكَلَّفُ بالغَمِيمِ حَاجَةً ... نِهْيًا حَمَامَةَ دُونَهُ وحَفِيرُ

عاداتُ قلبِك حين خفَّ به الهوى ... لولا تُسَكِّنُه لكادَ يطيرُ
إن العواذلَ لم يجدْنَ كوجْدِنا ... فلهنَّ منكَ تعبُّدٌ وزفيرُ
ينهيْنَ من علِق الهوى بفؤادِهِ ... حتى استُبِينَ بسمْعِه توْقيرُ
ليتَ الزمانَ لنا يعودُ بيُسْرِهِ ... إنَّ اليسيرَ بذا الزمانِ عسيرُ
يا قلبُ هلْ لكَ فى العزاء فإنه ... قد عِيلَ صَبْرُك والكريمُ صبورُ
ولقد عجِبتُ من الوُشاةِ كأنَّهُمْ ... بالبُغضِ نحْوَك والعداوةِ عُورُ
وكتمْتُ سِرَّك فى الفؤادِ مُجمْجِمًا ... إنَّ الكتومَ لِسِرِّه لَجديرُ
فسقَى ديارَكِ حيثُ كنتِ مُجلجِلٌ ... هَزِجٌ يُرِنُّ على الديارِ مطيرُ
ولقد ذكرْتُكِ فى اليمامةِ ذكرةً ... إن المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ ذَكُورُ
والعِيسُ مُنْعلةُ السَّريحِ من الوجَى ... وكأنهنَّ من الهواجرِ عُورُ
يا بِشرُ حُقَّ لوجهك التبشيرُ ... هلَّا غضبتَ لنا وأنت أميرُ
يا بِشْرُ إنك لم تزلْ فى نعمةٍ ... يأتيكَ من قِبَلِ الإلهِ بَشيرُ
بِشْرٌ أبو مروانَ إن عاسَرْتَه ... عسِرٌ وعندَ يسارِه ميْسُورُ
قد كانَ حقُّك أن تقولَ لِبارقٍ ... يا آلَ بارقَ فِيمَ سُبَّ جريرُ
إن الكريمةَ ينصرُ الكرمَ ابنُها ... وابنُ اللئيمةِ لِلِّئامِ نَصُورُ
لا يدْخُلَنَّ عليك إنَّ دخولَهُمْ ... رِجْسٌ وإن خروجَهُم تطهيرُ
أمسَى سُراقةُ قد عوَى لشقائِه ... خطْبٌ وأمُّك يا سُراقَ يسيرُ
أسُراقَ قد علِمتْ معَدٌّ أننى ... قِدْمًا إذا كُرِه الخياضُ جَسُورُ
أسُراقَ إنك قد غشيتَ ببارقٍ ... أمرًا مَطالِعُه عليك وُعُورُ
يا آلَ بارقَ لو تقدَّمَ ناصحٌ ... للبارقىِّ فإنه مغْرورُ
كالسامرىِّ غداةَ ضلَّ بقومِهِ ... والعجلُ يُعْكَفُ حولَه ويخُورُ
إنِّى بَنَى لى من يزيدُ بناؤه ... طولا وباعُك يا سُراقَ قصيرُ =

حَرِّزْ كليبًا إنَّ خيرَ صنيعةٍ   يومَ الحسابِ العِتقُ والتَّحرير(١)

=لو كنتَ تعلمُ ما جهلتَ فوارسي   أيامَ طَخْفةَ والدماءُ تَمُورُ
هلَّا بذى نجبٍ علمتَ بلاءنا   أو يومَ أصْعَدَ بالنِّسار بجير
أنصرْتَ قَينَ بنى قفيرةَ مُحلِبًا   أسُراقَ ليس لبارقَ التخيير
إن الفرزدقَ قد أُصيبَ بسهمه   فضمًا وأسلمَ تغلبَ الخنزير
قد كان فى كَلْبٍ يُخاف شذاتُه   مِنّى وما لقى الغُواةَ نذير
أسراقَ إنك قد تركتَ مخلّفًا   وغبارُ عِثْيَرِها عليك يثور
وعلقْتَ فى مَرَسٍ يمدُّ قرينَه   حتى التوى بك مُحصَد مشزور
لحَصادُ بارقَ كان أهونَ ضيعةً   والمِخلبان ودونك المنحور
من مُخْدِرٍ قطعَ الطريقَ بمَقْلَعٍ   تهوى مخالبُه معًا فيسور
تؤتى الكرامُ مُهُورَ رهنِ سياقةٍ   ونساء بارق ما لهن مهور
إن الملامةَ والمذلةَ فاعلموا   قدَرٌ لأولِ بارقٍ مقدور
أكسحْتَ باستكَ للفخارِ وبارقٌ   شيخان : أعمى مُقْعَدٌ وضرير
وإذا انتسبْتَ إلى شنوءةَ تدّعى   قالوا ادعاءُ أبى سُراقةَ زور
إنّى بنى لى زاخرٌ من خِندِفٍ   للمُلْكِ فيه منابرٌ وسرير
أسُراقَ إنك لو تفاضلُ خِندفًا   بثقَتْ عليك من الفراتِ بحور
أسُراقَ إنك لا نِزارًا نِلْتَهُ   والحىُّ مِن يَمَنٍ عليك نصير
أسراقَ إن لنا العراقَ ونجدَهُ   والغورَ ويلَ أبيك حين تغور
أرَجا سراقةُ أن يُفاضِلَ خِندِفًا   وأبو سراقةَ فى الحَصى مكثور

(١) « العتق » كذا فى س . وفى ص ، ش ، ك ، م : الصوم . وعليه يكون المعنى : أن جزاء الصوم وتحرير الرقاب لا يعدله جزاء عند الله .

هَبْ لِي وَلَاهُمْ أَوْ لِأَدْنَى دَارِمٍ ... إِنِّي وَرَبِّي إِنْ فَعَلْتَ شَكُورُ(١)

اِضْرِبْ عَلَيْهِمْ فِي الْجَوَاعِرِ حَلْقَةً ... تَبْقَى فَإِنَّ إِبَاقَهُمْ مَحْذُورُ(٢)

مَا يَطْلُعُونَ مَعَ الْكِرَامِ ثَنِيَّةً ... وَلَهُمْ مَنَازِلُ دُونَ ذَاكَ وُعُورُ(٣)

أَبْلِغْ تَمِيمًا غَثَّهَا وَسَمِينَهَا ... وَالْحَكَمُ يَقْصِدُ مَرَّةً وَيَجُورُ(٤)

أَنَّ الْفَرَزْدَقَ بَرَّزَتْ حَلْبَاتُهُ ... عَفْوًا وَغُودِرَ فِي الْغُبَارِ جَرِيرُ(٥)

مَا كَانَ أَوَّلَ مُحْمِرٍ عَثَرَتْ بِهِ ... أَنْسَابُهُ إِنَّ اللَّئِيمَ عَثُورُ(٦)

[ذَهَبَ الْفَرَزْدَقُ بِالْفَضَائِلِ وَالْعُلَا ... وَابْنُ الْمَرَاغَةِ مُخَلَّفٌ مَحْسُورُ](٧)

هَـــذَا قَضَاءُ الْبَارِقِيِّ وَإِنَّنِي ... بِالْمَيْلِ فِي مِيزَانِهِمْ لَبَصِيرُ(٨)

***

---

(١) هـ : « ولاهم : أن يكونوا مواليه ، وإنما يعيرهم أنهم عبيد » . ودارم : قبيلة الفرزدق.

(٢) ينصحه بوشمهم مثل الإبل ، ليعرفوا عند ما يفرون . والإباق : فرار العبد .

(٣) الثنية : الطريق فى الجبل . وطَـلَّاع الثنايا : سامٍ لمعالى الأمور

(٤) تميم : قبيلة جرير والفرزدق . وفى س : « عنها » بدلا من « غثها » . تحريف . و « الحكم » : كذا فى ش ، غ وفى ص : « والحلم » . وفى س : « والقول » . ويقصد : يعدل ، أو يذهب مستقيما . ويجور : يظلم أو ينحرف .

(٥) « حلباته » كذا فى س ، ورواية أبى رياش فى هـ : « أعراقه » . وكذا فى غ . وفى ص ، ش « حلابه » . والحلبات : جماعات الخيل ، واحدها حَـلْبَـة . وفى غ : « سبقا وخلف » بدلا من « عفوا وغودر » .

(٦) غـ : « كنت » بدلا من « كان » ، و « قعدت » بدلا من « عثرت » ، و « مسماته » بدلا من « أنسابه » وفى ش : « آباؤه » . وفى هـ : « المحمر : الثقيل من الدواب ؛ الثقيل الصدر » وفى المعاجم : المحمر : اللئيم .

(٧) هذا البيت زيادة من غ ، وساقط من الأصلية .

(٨) س : « القضاء » فى موضع « قضاء » . وفى غ : « إنه » فى موضع « إننى » . =

وقال سُراقة حين فسد ما بينه وبين الفرزدق :

فد كنت أحسَبُ يابن قَين مجاشعٍ ... أنْ قد خَصاك فلا تغِطُّ جرير(١)
وَلَقَدْ عَلِمْتَ عَلَى تَباغِيكَ الخَنَا ... أَنَّ الخَصِيَّ إِذَا اسْتُفِزَّ ذَعُورُ(٢)
أَنَّ الخَصِيَّ يَشُولُ حِينَ يَرُومُهُ ... قَرْمٌ قُرَاسِيَـةٌ اللِّقاءِ غَيُورُ(٣)

***

وقال سُراقة

لاَ تَطْلُبَنَّ فَتَاةً مِنْ وَسَامَتِهَا ... مَا لَمْ [يُوَافِقْكَ] مِنْهَا الدِّينُ وَالْخُلُقُ(٤)
وَالرِّفْقُ يَجْمَعُ أَهْلَ الْبَيْتِ مَا اجْتَمَعُوا ... وَقَدْ يَشُقُّ عَلَى أَصْحَابِهِ الْخُرُقُ(٥)

***

= فى س : «بالمثل» فى موضع «بالميل» وهو تصحيف . وفى هـ : « بخطه : أنسابهم ، وتحتها كلمة ميزانهم » . وفى غ : «ميزانكم» . وفى س : لجدير » فى موضع « لبصير » . والمعنى أن هذا هو حكمى ، وهو صادر عن علم بالراجح منهما ، أى بذى النسب العريق ، لا عن جهل بهما .

(١) القين : الحداد ، والعبد أيضا . ومجاشع : رهط الفرزدق . والغطيط : صوت النائم . يريد أن جريرا خصاك ، فلا يمكنك أن تخرج صوتا ، أو تقول شعرا ، لأن جريرا قد تفوق عليك كل التفوق .

(٢) بَغَى الضالة يبغيها : أى طلبها . والخنا : الفحش . «واستفز» كذا فى ش . وفى ص : « استقر » . وذعور : جبان .

(٣) يشول : يرفع ذنبه موليا هاربا . ويروم يطلب ويَبْتغى . والقرم : السيد المكرّم . والقراسية : الضخم الشديد .

(٤) هـ : « لا تُمْسكن » فى موضع « لا تطلبن » . و « وسامتها » كذا فى ش . وفى ص : « مسامتها » . و « يوافقك » : كذا فى س . وفى ص : « يوافقك » .

(٥) ش : « فاجتمعوا » : فى موضع «ما اجتمعوا» .

وقال سُراقة [١]

أَلا يَا لَقَوْمى لِلْهُمُومِ الطَّوارِقِ ... وَلِلْحَدَثِ الْجَائى بإِحْدَى الْمَضايِقِ [٢]
وَمَهْلِكِ غِطْرِيفَيْنِ كَانَا عِمَادَنا ... مِنَ الذَّائِدِينَ الْمُقْدِمِينَ الْأَصادِقِ [٣]
سَمِعْتُ فَهَدَّ الرُّكْنَ مِنِّى صَوارِخٌ ... وَقَدْ غَوَّرَتْ أُولَى النُّجُومِ الْخَوافِقِ [٤]
بِأَسْرِ حُماةٍ يالَهَا مِنْ رَزِيَّةٍ ... إِذَا الْحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ خِدَامِ العَوَاتِقِ [٥]
وَمَصْرَعِ مِرْداسٍ عَلَى حُرِّ وَجْهِهِ ... وَصُحْبَتِهِ تَحْتَ السُّيُوفِ الْبَوارِقِ [٦]

---

(١) ذكر الطبرى فى حوادث عام ٦٨ سبب هذه القصيدة ، قال : « إن مصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مِخْنَف على استان العال ، فلما قدم الحارث ابن أبى ربيعة أقصاه ، ثم أمره بعد ذلك على عمله السنة الثانية . فلما قدمت الخوارج المدائن سرحوا إليه عصابة منهم ، عليها صالح بن مخراق ، فلقيه بالكرخ ، فقاتله ساعة ، ثم تنازلوا ؛ فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج ، فقتل أبو بكر ويسار مولاه وعبد الرحمن بن أبى جمال ورجل من قومه ، وانهزم سائر أصحابه ، فقال سراقة بن مرداس البارقى « بطن من الأزد » هذه القصيدة .

(٢) فى جميع النسخ « لقوم » . الطوارق : المصائب التى تأتى ليلا . « والمضايق » : كذا فى ص و ش . وهى جمع مضيق ، وهى النوازل التى يعيا بها الإنسان ويضيق . وفى ط : « لصفائق » . والصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة : صفيقة .

(٣) هـ : « الغطريف : السيد ، والبازى غطريف » . والذائدون : جمع الذائد ، وهو المدافع عن الحقيقة والمقدمون : كثيرو الإقدام . والأصادق : رجال الشديدة ، المستميتون فى القتال . هكذا ورد البيت فى ص ، ش . وفى ط :

ومقتل غطريف كريم نجاره ... من المقدمين الذائدين الأصادق

(٤) كذا ورد الشطر الأول فى ص ، ش . وفى ط : « أتانى دون الخيف قتل ابن مخنف » . وغورت : غابت . والخوافق : التى يضطرب نورها .

(٥) هـ : « يقول : إذا الحرب كانت شديدة ، وذلك أن النساء إذا خفن على أنفسهن أن يُسْبَين كشفن عن أسْوُقهنّ ، ليزدن فى قتال أزواجهن وقومهن ، فيغارون ، فيقاتلون إذا رأوْا ذلك » . ثم صار الكشف عن الساق والخلخال كناية عن اشتداد الحرب .

(٦) البوارق : اللامعة .

فَرِيقَيْنِ : هَــذا قَوْمُ غامِدَ كُلُّها وَهذا الذّرَى والفَرْعُ مِنْ آلِ بارِقِ (١)
فَأُوْيِسْتُ مِمَّنْ كُنْتُ آمُلُ نَفْعَهُ إذا نُسِفَتْ مِنّا كِرامُ الخَلائِقِ (٢)
وثَوَّبَ داعِي المَوْتِ بالمَوْتِ بَيْنَنا وَدارَتْ رَحَى حَرْبٍ بِقُعْسِ البَطارِقِ (٣)
وَعاذَتْ بِأَيْدِيها النِّساءُ كأَنَّها مَصابِيحُ لَيْلٍ أَوْ وَمِيضُ العَقائِقِ (٤)
ودُرْنا وَدارَ الجَمْعُ في حَمْسِ الوَغَى كَما دارَ وِلْدانٌ لَهَوْا بالمَخارِقِ (٥)
هُنالِكَ لا يُزْجِي حَياها لِنَفْعِها إياسٌ وَلا يُزْجَى لِدَفْعِ البَوائِقِ (٦)
فَيا عَيْنُ بَكِّي الرّاتِقِينَ أُولي النُّهَى سِمامَ العِدَى وَابْكِي حُماةَ الحَقائِقِ (٧)
وَبَكِّي إِياساً فارِسَ الحَرْبِ وَانْدُبِي حِماها لَدَى الهَيْجاءِ فِي كُلِّ مأزِقِ (٨)

---

(١) غامد : حى من اليمن . والذرى : الجانب والكنف والظل .

(٢) « فأويست » كذا فى ه . وفى ص ، ش : « فيئست » . وفى ه : « نسفت : قلعت » .

(٣) ه : « ثوّب : دعا داعى الحرب . والقعس : البطاء البراح » . والبطارق : جمع بطريق ، وهو قائد الروم ، والمراد هنا القائد مطلقا .

(٤) عاذ : لجأ واحتمى .

(٥) حمس الوغى : اشتداد الحرب . وولدان : جمع وليد . ويقال : لهى بالشىء ، بكسر الهاء ، أى لعب به . والمخراق : المنديل يُلفّ ليُضرَب به .

(٦) يزجى : يسوق . وفى ص ، ش : « يرجى » تصحيف . وفى ه : « بخطه : حباها » بالباء بدلا من الياء . والحيا : المطر . وفى ه : « البوائق : الدواهى » .

(٧) الراتقون : أى الذين يصلحون الفاسد ، ويقومون المعوج . وأولو النهى : ذوو العقول الراجحة . وسمام : جمع سم . والحقيقة : ما يجب على الإنسان حمايته .

(٨) الهيجاء : الحرب . والمأزق : الشدة .

فَقَدْ فُجِعَتْ أَزْدُ العِرَاقِ وَشَامِهَا　　وَأَزْدُ عُمَانٍ بِالطِّوَالِ الغَرَانِقِ (١)
وأَمْحَلَ وَادِينَا وَأَوْحَشَ أَهْلُهُ　　وَبُدِّلَ مِنْ فُرْسَانِهِ بِالنَّوَاعِقِ (٢)
فَقَدْ أَصْبَحَتْ نَفْسِى لِذَاكَ حَزِينَةً　　وَشَابَ لِمَا حُمِّلْتُ مِنْهُ مَفَارِقِى (٣)
فَمَا أَنَا فِى طُولِ الْحَيَاةِ بِرَاغِبٍ　　وَمَا أَنَا إِذْ بَانُوا لِدَهْرٍ بِوَامِقِ (٤)
فَلَيْتَ الْمَنَايَا أَقْصَدَتْنِى سِهَامُهَا　　وَعَاقَتْ أَبَا بَكْرٍ بِزَحْرٍ عَوَائِقِى (٥)
وَلَمْ تُبْقِ فِى طَيْشٍ رَعَاعٍ أَذِلَّةٍ　　عَوَاوِيرَ فِى الْهَيْجَا غَدَاةَ التَّلَاحُقِ (٦)

---

(١) ص ، ش : « أسد » بالسين بدلا من الزاى . وفى هـ : « الغرانق : الشباب السود الرءوس . يقول : قتلوا شبابا . ومعناه : أنهم كرام ذو سؤدد يقتلون ، لا يموتون على فرشهم شيوخا » .

(٢) « بدل » كذا فى ش . وفى ص : « ندل » وهو تصحيف . وفى هـ : « النواعق : أصحاب الضأن » . وهذا جائز ، ويجوز أن تكون النواعق الطيور التى تنعق فى الأماكن الخالية ، أى أن الطيور سكنت منازلهم بعد موتهم .

(٣) « منه » كذا فى ط . وفى ص ، ش : « منها » . والمفارق : جمع مفرق ، وهو وسط الرأس ، أى الموضع الذى يفرق فيه الشعر .

(٤) بان يبين : نأى وارتحل . والوامق : المحب .

(٥) هـ : « أقصدتنى : قتلتنى » . وفى ص ، ش : « عافت » . بالفاء بدل القاف ، وهو تصحيف . وفى هـ : « بخطه : ابن جزء عوائق . وفى الحاشية : ابن بحر . وزحر : موضع ، قال السكرى كذا كان بخط ابن حبيب ، ثم رجع عنه وقال : ابن زحر » . وزحر : من قرى مشرق جهران باليمن .

(٦) الطيش : النزق والخفة ، ووصفهم بالمصدر ، مثل رجل عدل ، ورجال عدل ، أى عادل وعادلون . والرعاع : السفلة والطغام . والعواوير : جمع عوار ، وهو الضعيف الجبان السريع الفرار ، والتلاحق هنا : بمعنى القتال .

إذا ما الخُصَى طارَتْ وجادَ بنفسِهِ أخو الموْتِ تحتَ اللَّامعاتِ الخَوافقِ (١)
وَحامَى المُحامِي عَنْ أبيهِ وَبَرَّزَتْ بأَحْسابِها أَهْلُ البُيُوتِ الشَّواهِقِ (٢)
وَعرَّدَ أبناءُ اللِّئامِ مَخافَةً وَحامى حُماةُ الجَمْعِ عَنْ ذِي الوَشائقِ (٣)
وَإنْ أكُ مفجُوعًا حزينًا مُرزَّأً يُؤرِّقُني طَيْفُ الهُمُومِ الطَّوارِقِ (٤)
فما أنا بالوانِي وَلا عاجِزِ القُوَى وَلا نَزِقٍ يخشَى أذاتِي مُرافِقِي (٥)
وَلا لاطِمٍ وَجْهَ ابنِ عَمِّي سَفاهَةً وَلا أنا بالعَوْراءِ يَوْمًا بِناطِقِ (٦)

وقد أورد الطبرى عدة أبيات بعد البيت :

* سَمِعْتُ فهدَّ الرُّكْنَ مِنِّي صَوارِخُ *

فأوردها هنا كى تكون أجزاء القصيدة مجتمعة فى مكان واحد ، قال :

فقُلْتُ تلقَّاكَ الإلَهُ برَحْمَةٍ وَصلَّى عَلَيْكَ اللهُ رَبُّ المَشارِقِ
لَحى اللهُ قوْمًا عرَّدُوا عنكَ بُكْرَةً وَلَمْ يَصْبِرُوا للَّامِعاتِ البَوارِقِ (٧)
توَلَّوْا فأجْلَوْا بالضُّحى عَنْ زَعِيمِنا وَسَيِّدِنا في المَأزِقِ المُتَضايِقِ

---

(١) « هـ : ارتفعت الخصى من الفرق » .

(٢) ش : « بأحشائها » : فى موضع « بأحسابها » وهو تصحيف .

(٣) عرد : هرب . والوشيق والوشيقة : اللحم يُغلى إغلاءة ثم يقدد ويحمل فى الأسفار ، وهو أبق قديد يكون . وذ الوشائق : حاملها ، أى حامل الطعام عند السفر .

(٤) المرزأ : المصاب دواما . وفى هـ : الطوارق : التى تجىء ليلا .

(٥) الوانى : الضعيف الفاتر .

(٦) هـ : العوراء : الكلمة القبيحة .

(٧) لحى يلحى : لام .

فَأَنْتَ مَتَى مَا جِئْتَنَا فِي بُيُوتِنَا ... سَمِعْتَ عَوِيلًا مِنْ عَوَانٍ وَعَاتِقِ (١)
يُبَكِّينَ مَحْمُودَ الضَّرِيبَةِ مَاجِدًا ... صَبُورًا لَدَى الْهَيْجَاءِ عِنْدَ الْحَقَائِقِ (٢)

***

وقال سُراقة

إِنَّ الْأَحِبَّةَ آذَنُوا بِتَرَحُّلِ ... وَبِصُرْمِ حَبْلِكَ بَاكِرًا فَتَحَمَّلِ (٣)
وَأَرَنَّ حَادِيهِمْ عَلَى أُخْرَاهُمُ ... بِصُلَاصِلٍ خَلْفَ الرِّكَابِ وَأَزْمَلِ (٤)
ذُلُلًا حُمُولَتُهَا بِبَيْنٍ عَاجِلٍ ... خُضُمًا سَوَالِفُهَا تَعُومُ وَتَعْتَلِي (٥)
يَمْشِي وَيُوجِفُ خِدْرُهَا بِغَمَامَةٍ ... صَيْفِيَّةٍ فِي عَارِضٍ مُتَهَلِّلِ (٦)
رَابٍ رَوَادِفُهَا يَنُوءُ بِخَصْرِهَا ... كَفَلٌ لَهَا مِثْلُ النَّقَا الْمُتَهَيِّلِ (٧)
أَيَّامَ تَبْسِمُ عَنْ نَقِيٍّ لَوْنُهُ ... صَافٍ يُزَيِّنُهُ سِوَاكُ الْإِسْحِلِ (٨)

---

(١) العوان : النصف من النساء . والعاتق : الشابة المخدرة التي لم تتزوج .

(٢) الضريبة : الطبيعة والسجية . والحقائق : جمع حقيقة ، وهي ما يحق للإنسان حمايته .

(٣) صرم : قطع . وفي هـ : « كذا كان بخط السكرى : « فتحمل » بالحاء . وكذا بخط ابن الأعرابي » .

(٤) رنّ وأرن : صاح . والصلاصل : الحمار المصوت . والأزمل : كل صوت مختلط .

(٥) « ذللا » كذا في هـ . وفي ص ، ش : « ذللٌ » . أي أحمالها خفيفة بسبب العجلة في السفر . والسالفة : مقدم العنق .

(٦) الوجيف : ضرب من السير . وفي هـ : « عارض : سحاب يعترض في السماء » .

(٧) هـ : « الرابي : العظيم » . والكفل : العجز ، وقيل الردف . والنقا : الكثيب من الرمل . والمتهيل : المتصبب .

(٨) الإسحل : شجر يستاك به .

وَمُعَلَّقُ الحَلْىِ البَهِىِّ بِمُشْرِقٍ رُؤْدٍ كَسَالِفَةِ الغَزَالِ الأَكْحَلِ (١)
ذَهَبَتْ بِقَلْبِكَ فِى الأَنَامِ وَمِثْلُهَا شَعَفَ الفُؤَادَ وَسَرَّ عَيْنَ المُجْتَلِى (٢)
وَكَأَنَّهَا فِى الدَّارِ يَوْمَ رَأَيْتُهَا شَمْسٌ يَظَلُّ شُعَاعُهَا فِى أَفْكَلِ (٣)
تُعْشِى البَصِيرَ إِذَا تَأَمَّلَ وَجْهَهَا مِنْ حُسْنِهَا وَتُقِيمُ عَيْنَ الأَحْوَلِ (٤)
أَوْ دُرَّةٌ مِمَّا تَنَقَّى غَائِصٌ فَأَسَرَّهَا لِلتَّاجِرِ المُتَنَخِّلِ (٥)
فَأَصَابَ حَاجَتَهُ وَقَالَ لِنَفْسِهِ هَلْ يَخْفَيَنَّ بَيَاضُهَا فِى مَدْخَلِ (٦)
أَوْ بِكْرُ أُدْحِىٍّ بِجَانِبِ رَمْلَةٍ عَرَضَتْ لَهُ دَوِّيَّةٌ لَمْ تُحْلَلِ (٧)
تِلْكَ الَّتِى شَقَّتْ عَلَىَّ فَلَا أَرَى أَمْثَالَهَا فَارْحَلْ وَلَا تَسْتَقْتِلِ (٨)
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَنَاسَى ذِكْرَهَا وَتَذَكُّرَ اللَّذَّاتِ إِنْ لَمْ تَذْهَلِ (٩)

---

(١) الرؤد : العنق الحسن الانثناء والالتفات . والأكحل : الذى يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل .

(٢) شعفه الحب يشعفه : أحرق قلبه ، وقيل أمرضه . والمجتلى : المتأمل فى جمالها .

(٣) الأفكل : الرعدة والرعشة .

(٤) هـ : « بخطه : طرف الأحول . يقول : إذا أدار الأحول عينه فى وجهها استوى لحسنها » .

(٥) المتنخل : المتخير لأفضل الأشياء .

(٦) المعنى أن الغواص قد أصاب طلبته بالحصول على هذه الدرة ، واعتقد أن قيمتها لن تخفى على أحد ، ولن يقلل إنسان من قيمتها .

(٧) الأدحية : الحفرة . وفى هـ : « بكر الأدحية : البيضة » . و « دوية » : كذا فى هـ . وفى ص ، ش : « بدوية » وفى هـ ، أمام لم تحلل : « لم ينزلها أحد » . والمعنى أنها تشبه البيضة فى مفازة لم يخترقها إنسان ، فلا يمكن الوصول إليها ، فهى نفيسة كل النفاسة ، نادرة جد الندرة .

(٨) هـ : « بخطه : فامحل ، وفوقه : فارحل » .

(٩) تناسى : تظهر من نفسك أنك ناس .

لَوْ كُنْتُ مُنْتَهِكاً يَمِيناً بَرَّةً ... لَحَلَفْتُ حِلْفَةَ صَادِقٍ مُتَبَهِّلِ (١)
أَنِّى بِهَا عَفٌّ وَلَسْتُ بِآثِمٍ ... وَإِذَا حَلَفْتَ تَنَجُّدًا فَتَحَلَّلِ (٢)
مَا زَادَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى وَجْدِى بِهَا ... إِلَّا ابْنُ عَمِّى يَوْمَ دَارَةِ جُلْجُلِ (٣)
عَقَرَ الْمَطِيَّةَ إِذْ عَرَضْنَ لِعَقْرِهَا ... إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا يُهَيَّجْ يَخْتَلِ (٤)
وَافْتَرَّ يَضْحَكُ مُعْجَبًا مِنْ عَقْرِهَا ... وَتَعَجُّبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ (٥)

---

(١) ه : « منتهك : أى لا أبالى . ومبتهل : داع . ومتبهل : لم أستتر » .

(٢) حلف تنجدا : حلف يمينا غليظة .

(٣) الوجد : الحب . و « ه : يعنى امرأ القيس » . ويشير إلى قصة امرىء القيس التى ذكرها فى معلقته ؛ وننقلها هنا عن جمهرة أشعار العرب للقرشى ، قال :

أَلَا رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ ... وَلَا سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ
وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِى ... فَيَا عَجَبًا مِنْ رَحْلِهَا الْمُتَحَمَّلِ
وَيَا عَجَبًا مِنْ حَلِّهَا بَعْدَ رَحْلِهَا ... وَيَا عَجَبًا لِلْجَازِرِ الْمُتَبَذِّلِ
فَظَلَّ الْعَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا ... وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ الْمُفَتَّلِ
تُدَارُ عَلَيْنَا بِالسَّدِيفِ صِحَافُنَا ... وَيُؤْتَى إِلَيْنَا بِالْعَبِيطِ الْمُثَمَّلِ
وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ ... فَقَالَتْ : لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِى
تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعًا ... عَقَرْتَ بَعِيرِى يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِى وَأَرْخِى زِمَامَهُ ... وَلَا تُبْعِدِينِى عَنْ جَنَاكِ الْمُعَلَّلِ
دَعِى الْبَكْرَ لَا تَرْثِى لَهُ مِنْ رِدَافِنَا ... وَهَاتِى أَذِيقِينَا جَنَاةَ الْقَرَنْفُلِ
بِثَغْرٍ كَمِثْلِ الْأُقْحُوَانِ مُنَوِّرٍ ... نَقِىِّ الثَّنَايَا أَشْنَبٍ غَيْرِ أَثْعَلِ

(٤) عقر المطية : ضرب قوائمها وذبحها . وقوله (يختل) كذا بالأصل . ولعله من الخيلاء ، وهى هنا الارتياح لفعل الكرم .

(٥) ه : « بخطه : رحله » .

وَرَكِبْنَ أَفْوَاجًا، وَقُلْنَ فُكَاهَةً ... مَا كُنْتَ مُحْتَالًا لِنَفْسِكَ فَاحْتَلِ (١)
فَثَوَى مَعَ ابْنَةِ خَيْرِهِمْ فِي خِدْرِهَا ... وَاشْتَقَّ عَنْ مَلْكِ الطَّرِيقِ الْمُعْمَلِ (٢)
جَارُوا بِهِنَّ وَلَوْ يَشَاءُ أَقَامَهُ ... قَلْبٌ يَعُزُّ قَطَا الْفَلَاةِ الْمَجْهَلِ (٣)
وَتَقُولُ لَمَّا مَالَ جَانِبُ خِدْرِهَا ... انْزِلْ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلِي (٤)
وَأَرَى مِنَ الرَّأْيِ الْمُصِيبِ ثَبَاتَهُ ... أَنْ لَا تَصِلْ حَبْلًا إِذَا لَمْ تُوصَلِ (٥)
وَاسْتَبْقِ وُدَّكَ لِلصَّدِيقِ وَلَا تَقُلْ ... أَبَدًا لِذِي ضِغْنٍ مُبِينٍ أَقْبِلِ (٦)
وَدَعِ الْفَوَاحِشَ مَا اسْتَطَعْتَ لِأَهْلِهَا ... وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ فَافْعَلِ
وَإِذَا غَضِبْتَ فَلَا تَكُنْ أُنْشُوطَةً ... مُسْتَمْعِدًا لِفَحَاشَةٍ وَتَبَسُّلِ (٧)

---

(١) هـ : « الفكاهة : المزاح . قال أبو عمرو : خرج أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على الحسن والحسين وقنبر وهو يمازحهما ، فقال : دعوا عنكم الفكاهة ، فإنها تورث الضغائن . صدق أمير المؤمنين » .

(٢) هـ : « بخطه : فثرا . وفى الحاشية : فثوى » . وثوى : أى أقام .
ومَلْكُ الطريق ومِلكه : وسطه . والطريق المُعْمَل : اللحب المسلوك . والمعنى أنه ترك الطريق المسلوك وأخذ آخر مهجورا كى لا يراها أحد .

(٣) القطا : نوع من الطير شهير بمعرفته الرجوع إلى موطنه الأول مهما أُبْعِدَتْ به . وفى هـ : « المحل ، وبخطه : كذا » . والمعنى أنه يعرف الطريق أحسن من معرفة القطا له ، فلو شاء لمكث معهن ولم يترك الخدم ينحرفون بهن .

(٤) أى ستعقر بعيرى فأضطر إلى السير راجلة .

(٥) فى هـ : « بتاته » فى موضع « ثباته » وفى هـ أيضا « كذا كان مكتوبا تَصلْ ، مجزوما » .

(٦) المبين : الواضح .

(٧) الأنشوطة : العقدة التى يسهل حلها . أى لا تكن مندفعا فى غضبك . و« مستمعدا » : كذا فى هـ . وفى ص ، ش « مستعدوا » والمعنى مستعدا . والتبسل : العبوس من الغضب .

وَإنِ افْتَقَرْتَ فَلاَ تَكُنْ مُتَخَشِّمًا ... تَرْجُو الفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ المُفْضِلِ (١)

وَإذَا كُفِيتَ فَكُنْ لِعِرْضِكَ صَائِنًا ... وَإذَا أُجِئْتَ لِبَذْلِهِ فَتَبَذَّلِ (٢)

وَامْنَعْ هَضِيمَتَكَ الذَّلِيلَ وَلاَ يُرَى ... مَوْلاَكَ مُهْتَضَمًا وَأَنْتَ بِمَعْزِلِ (٣)

وَإذَا تُنُوزِعَتِ الأمُورُ فَلاَ تَكُنْ ... مِمَّنْ يُطَأْطِئُ خَدَّهُ لِلأَسْفَلِ (٤)

وَاعْمِدْ لِأَعْلاَهَا فَإنَّكَ وَاجِدٌ ... أَحْسَابَ قَوْمِكَ بِاليَفَاعِ الأَطْوَلِ (٥)

قَوْمِى شَنُوءَةُ إنْ سَأَلْتَ بِمَجْدِهِمْ ... فِى صَالِحِ الأَقْوَامِ أَوْ لَمْ تَسْأَلِ

أُخْبِرْتَ عَنْ قَوْمِى بِعِزٍّ حَاضِرٍ ... وَقِيَامِ مَجْدٍ فِى الزَّمَانِ الأَوَّلِ

وَمَآثِرٍ كَانَتْ لَهُمْ مَعْلُومَةٍ ... فِى الصَّالِحِينَ وَسُؤْدُدٍ لَمْ يُنْحَلِ (٦)

الدَّافِعِينَ الذَّمَّ عَنْ أَحْسَابِهِمْ ... وَالمُكْرِمِينَ ثَوِيَّهُمْ فِى المَنْزِلِ (٧)

---

(١) ه : « مستوفرا » فى موضع « متخشما » . ومعنى متخشع : متظاهر بالمسكنة . يريد أن يقول : إذا افتقرت فلا تلبس ثوب الذل ، ولا تسأل الفضل من الناس ، بل اسأل المعطى الوهاب .

(٢) ه : « بحظه ، افتقرت لبذلة » فى موضع « أجئت لبذله » وفى ص ، ش : « لبذلة » ، بالتاء .

(٣) الهضيمة : الظلم . أى لا تظلم الذليل المسكين ، ولا ترض بذل مولاك ، بل ساعده ليكون عزيزا .

(٤) « ممن » كذا فى ش . وفى ص : « مما » .

(٥) اليفاع : المرتفع من الأرض .

(٦) نحل السؤدد : ادعاه ولم يكن سيدا .

(٧) الثوى : بمعنى الضيف هنا .

وَالْمُطْعِمِينَ إِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ ... بِقَتَامِهَا فِى كُلِّ عَامٍ مُمْحِلِ (١)
وَتَغَيَّرَتْ آفَاقُهَا مِنْ بَرْدِهَا ... وَغَدَتْ بِصُرَّادٍ يَزِيفُ وَأَشْمُلِ (٢)
الْمَانِعِينَ مِنَ الظُّلَامَةِ جَارَهُمْ ... حَتَّى يَبِينَ كَسَيِّدٍ لَمْ يُتْبَلِ (٣)
وَالْخَالِطِينَ دَخِيلَهُمْ بِنُفُوسِهِمْ ... وَذَوِى بَقِيَّةِ مَالِهِمْ فِى الْعُيَّلِ (٤)
وَتَرَى غَنِيَّهُمُ غَـزِيرًا رِفْدُهُ ... وَفَقِيرَهُمْ مِثْلُ الْغَنِىِّ الْمُفْضِلِ (٥)
وَتَرَى لَهُمْ سِيمَى مُبِينًا مَجْدُهَا ... غَلَبُوا عَلَيْهَا النَّاسَ عِنْدَ الْمَحْفِلِ (٦)
وَتَرَاهُمُ يَمْشُونَ تَحْتَ لِوَائِهِمْ ... بِالسَّمْهَرِيَّاتِ الطِّوَالِ الذُّبَّلِ (٧)

---

(١) هـ : « تناوحت : استقبل بعضها بعضا » . وذلك أن الرياح عند ما تتلاقى تحدث صوتا يشبه النواح . والقتام : الغبار . والممحل : المجدب . فالرياح تسفى القتام فى الأعوام المجدبة ، لعدم وجود الزرع الذى يمسك بالغبار ويصده ، والإطعام فى هذه السنين دليل على شدة الكرم ، وانطباع النفس عليه .

(٢) هـ : « بخطه : من قَرِها » فى موضع « من بردها » والصراد : الغيم الرقيق لا ماء فيه . ويزيف : يسير متبخترا . وفى هـ « وبخطه : أشمل : جمع شَمَل وهى لغة فى الشمال . تغيرت آفاق السماء من برد الدنيا وغدت إلينا ... » .

(٣) « المانعين » : كذا فى هـ . وفى ص ، ش : « المانعون » . ويبين : يفارق ويرحل . وفى هـ : « لم يتبل : لم يؤخذ منه التبل » .

(٤) الدخيل هنا : بمعنى الضيف . والعيّل : المفتقرون .

(٥) « غزيرا » كذا فى هـ . وفى ص ، ش : « عزيزا » .

(٦) السيمى : العلامة .

(٧) السمهرية : القناة الصلبة . وهى منسوبة إلى « سمهر » اسم رجل كان يقوم الرماح . والذبّل : الرفيعة . وهى صفة مستحسنة فى الرماح .

فِي سَاطِعٍ يَسْتَقِي الْكُمَاةَ نَجِيمَهُ صَعْبٍ مَذَاقَتُهُ رَزِينِ الْكَلْكَلِ (١)
كَمْ فِي شَنُوءَةَ مِنْ خَطِيبٍ مِصْقَعٍ وَسْطَ النَّدِيِّ إِذَا تَكَلَّمَ مِفْصَلِ (٢)
جَزْلِ الْمَوَاهِبِ يُسْتَضَاءُ بِوَجْهِهِ كَالْبَدْرِ لَاحَ مِنَ السَّحَابِ الْمُنْجَلِي
نَابٍ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ تَغْشَاهُمُ فَمَتَى تُحَمِّلْهُ الْعَشِيرَةُ يَحْمِلِ (٣)
مِنْ خُطَّةٍ لَا يُسْتَطَاعُ كِفَاؤُهَا أَوْ غُرْمِ عَانٍ مِنْ صَدِيقٍ مُثْقَلِ (٤)
إِنِّي مِنَ الْأَزْدِ الَّذِينَ أُنُوفُهُمْ عِنْدَ السَّمَاءِ وَجَارُهُمْ فِي مَعْقِلِ (٥)
رَامَتْ تَمِيمٌ أَنْ تَنَاوَلَ مَجْدَنَا وَرَمَوْا بِسَهْمٍ فِي النِّضَالِ مُعَضِّلِ (٦)
وَسَعَوْا بِكَفٍّ مَا تَنُوءُ إِلَى الْعُلَا مَقْبُوضَةٍ فَتَذَبْذَبَتْ فِي الْمَهْبِلِ (٧)

---

(١) الساطع : السيف المتلألئ البراق . ه : « الكمى : الشديد الذى يكمى شجاعته ، أى لا يظهرها » فهو يسترها تحت الدروع . و « نجيمه » : كذا فى ش . وفى ص : « بحتفه » .

(٢) « مفصل » : كذا فى ش . وفى ص : « مفضل » .

(٣) ناب بكل عظيمة : متفرد فى القيام بالعظائم . و « تغشاهم » كذا فى ش . وفى ص : « يمشاهم » . والمعنى : تصيبهم .

(٤) الكفاء : المثل . والعانى : الأسير . والمثقل : الذى أثقلته الحاجة . أى أن الممدوح يفرج كروب المكروبين .

(٥) ص ، ش : « الأسد » موضع « الأزد » . والمعقل : الملجأ الحصين .

(٦) « النضال » : كذا فى ش . وفى ص : «النصال» . وفى ه : «بخطه : ممصل» . والسهم المعضل أو الممصل : هو الذى يلتوى إذا رُمِى به .

(٧) ش : « سطوا » فى موضع « سعوا » . وفى ه : « مقبوضة أى لا تنهض إلى العلى . يقول : قصير الباع » . والمهبل : الرحم .

حَسَدًا عَلَى المَجْدِ الَّذِى لَم يَأْخُذُوا   فِيما مَضَى مِنْــهُ بِحَبَّةِ خَرْدَلِ
وَأَنا الَّذِى نَبَحَتْ مَعَدٌّ كُلُّهَا   أُسَدٌ لَدَى الْغَايَاتِ غَيْرُ مُخَذَّلِ(١)
قُلْ لِلثَّعالِبِ هَلْ يَضُرُّ ضُبَاحُهَا   أَسَدًا تَفَرَّسَها بِنَابٍ مِقْصَلِ(٢)
وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْقَرِيضِ طَرِيقَةً   أَعْيَتْ مَصَادِرُهَا قَرِينَ مُهَلْهِلِ(٣)
بَعْدَ امْرِئِ الْقَيْسِ الْمُنَوَّهِ بِاسْمِهِ   أَيَّامَ يَهْذِى بِالدَّخُولِ فَحَوْمَلِ(٤)
وَأَبُو دُوَادٍ كَانَ شَاعِرَ أُمَّةٍ   أَفَلَتْ نُجُومُهُمُ وَلَمَّا يَأْفِلِ(٥)

---

(١) « الغايات » : كذا فى ش . وفى ص : « الغابات » . والشطر الثانى فى هـ : « قال : وأشُدُّ فى الغابات ... » . وفى ص ، ش « مخدل » بدال مهملة . والمخذل : المخذول المهزوم .

(٢) الضباح : صوت الثعلب . وتفرس : افترس . والمقصل : القاطع .

(٣) القريض : الشعر . وفى ص ، ش : « أعمت » فى موضع « أعيت » وهو تصحيف . و « قرين » كذا فى هـ . وفى ص ، ش : « قريض » . وقرين مهلهل : شيطانه الذى يلهمه الشعر . ومهلهل بن ربيعة التغلبى واسمه عدى ، ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر أى أرقه . وكان قائد تغلب فى حرب البسوس التى اندلع لهيبها بسبب قتل جساس لأخيه كليب . وبعد خمودها سافر إلى اليمن وأقام هناك ، فتزوجوا ابنته كرها عنه . ثم أسره عوف بن مالك ؛ ومات فى أسره ، وهو خال امرئ القيس ، وجد عمرو بن كلثــوم .

(٤) امرؤ القيس الملك الضليل ، صاحب المعلقة المشهورة ، وأمير شعراء الجاهلية ، أشهر من أن يُـتَرْجَم له . ونوّه باسمه : رفع ذكره . وفى هـ : « وحومل » بالواو بدلا من الفاء . والدخول وحومل موضعان ، وسراقة لا يعنيهما ، وإنما يعنى معلقة امرئ القيس ، لورودهما فيها :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ   بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

(٥) يشير إلى أبى دواد الإيادى الشاعر الجاهلى المشهور بنعت الخيل .

وأَبو ذُؤَيْب قَدْ أَذَلَّ صِعابَهُ (لا يُنْصِبَنَّكَ) رابِضٌ لَمْ يُذْلَلِ(١)

---

(١) أبو ذؤيب الهذلى الشاعر المخضرم، واسمه خويلد بن خالد، آمن بالنبى، ولكنه لم يره، واشترك مع الجيوش الإسلامية الغازية، فخرج إلى المغرب فى غزاة مع عبدالله بن الزبير، فمات ودفن هناك. ويقال إنه لم يمت بالمغرب، وإنما بأرض الروم.

« أذل » : كذا فى ش. وفى ص : « أزل » . وفى هـ : « يرضينك » فى موضع « ينصبنك » . و « رابض » : كذا فى ص. وفى ش « رائض » . وهو فاعل أذل فى الشطر الأول. يقول : لايهولنك أمره ، فقد أذله أسد رابض لم يذل لأحد ، يريد ابن أخته.

لم أجد فى ديوان أبى ذؤيب قصيدة فيها هذا الشطر (الثانى) ، ولكنى رجحت أن سراقة يشير إلى قصة أبى ذؤيب مع ابن أخته خالد بن زهير ، الذى كان رسوله إلى حبيبته ، فأغواها وأخذها منه ، كما أغواها أبو ذؤيب إذ كان رسول عبد عمرو بن مالك إليها من قبل ، وأخذها من عبد عمرو ، وقال أبو ذؤيب عدة قصائد فى ذلك ، وإنى مورد إحداها لتوضح جو القصة كما يصوره أبطالها ، حتى تتمثل إشارة سراقة تمثلا صحيحا . قال أبو ذؤيب :

مَا حُمِّــلَ البُخْتِىُّ عامَ غِيارِه عليه الوُسُوقُ بُرُّها وشَعيرُها
أَتَى قَرْيَةً كانت كثيراً طَعامُها كَرَفْغِ التُّرابِ كلُّ شىءٍ يَميرُها
فقيلَ : تَحَمَّلْ فوقَ طَوْقِكَ إنَّها مُطَبَّعةٌ مَن يَأْتِها لا يَضيرُها
بأعظمَ ممّا كنتُ حَمَّلتُ خالدًا وبعضُ أماناتِ الرجالِ غُرُورُها
ولو أنَّنى حَمَّلْتُه البُزْلَ لَمْ تَقُمْ به البُزْلُ حتى تَتْلَئِبَّ صُدورُها
خَلِيلِى الذى دَلَّى لِغَيٍّ خَلِيلَتِى فكُلًّا أَراهُ قد أَصابَ عُرُورُها
فشأْنَكَهَا إنِّى أمينٌ وإنّنى إذا ما تَحـالَى مثلُها لا أَطُورُها
أُحاذِرُ يومًا أن تَبِينَ قَرينَتِى ويُسْلِمَها جِـيرانُها ونَصيرُها
رَعَى خالدٌ سِرِّى ليالِىَ نفسُه تَوالَى على قَصْدِ السَّبِيلِ أُمورُها
فلمّا تَراماه الشَّبابُ وغَيُّـه وفى النَّفسِ منه فِتْنَةٌ وفُجورُها
لَوَى رأسَه عنِّى ومالَ بوُدِّه أَغانيجُ خَودٍ كانَ قِدْمًا يَزُورُها
تَعَلَّقَه منها دَلالٌ ومُقْـلَةٌ تَظَلُّ لأَصحابِ الشَّقاءِ تُدِيرُها=

=وما يحفظ المكتوم من سرّ أهله ... إذا عقد الأسرار ضاع كبيرها
من القوم إلا ذو عفاف يعينه ... على ذاك منه صدق نفس وخيرها
فإن حراما أن أخون أمانة ... وآمن نفسا ليس عندى ضميرها
فنفسك فاحفظها ولا تفش للعدا ... من السرّ ما يطوى عليه ضميرها
متى ما تشأ أحملك والرأس مائل ... على صعبة حرف وشيك طمورها
وما أنفس الفتيان إلا قرائن ... تبين ويبقى هامها وقبورها

فأجابه خالد :

لا يبعدن الله لبك إذ غزا ... فسافر والأحلام جم عثورها
وكنت إماما للعشيرة تنتهى ... إليك إذا ضاقت بأمر صدورها
لعلك إما أم عمرو تبدلت ... سواك خليلا شاتمى تستجيرها
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ... وأول راضى سنة من يسيرها
فإن التى فينا زعمت ومثلها ... لفيك ولكنى أراك تجورها
تنقذتها من عبد عمرو بن مالك ... وأنت صفى النفس منه وخيرها
يطيل ثواء عندها ليردها ... وهيهات منه دورها وقصورها
وقاسمها بالله جهدا لأنتم ... ألذ من السلوى إذا ما نشورها
فلم يغن عنه خدعه حين أعرضت ... صريمتها والنفس مر ضميرها
ولم يلف جلدا حازما ذا عزيمة ... وذا قوة ينفى بها من يزورها
فإن كنت تشكو من قريب مخانة ... فتلك الجوازى عقبها ونصورها
وإن كنت تبغى للظلامة مركبا ... ذلولا فإنى ليس عندى بعيرها
نشأت عسيرا لم تديث عريكتى ... ولم يعل يوما فوق ظهرى كورها
فلا تك كالثور الذى دفنت له ... حديدة حتف ثم ظل يثيرها
ولا تسبقن الناس منى بحزة ... من السم مذرور عليها ذرورها
وإياك لا تأخذك منى سحابة ... ينفر شاء المقلمين خريرها

وَأَرَادَهَا حَسَّانُ يَوْمَ تَعَرَّضَتْ   بَرَدَى يُصَفِّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ [١]

(١) هـ : «ويروى ، فأدارها» . وفى ص ، ش : «الرحيل» باللام ، بدلا من القاف ، وهو خطأ .

وحسان : هو ابن ثابت الخزرجى شاعر مخضرم . مدح الغساسنة فى الجاهلية ودافع عن الرسول بعد الهجرة ضد شعراء قريش . وكان ينشد الشعر على منبر الرسول ، وهو يستمع له ، وقد مدح شعره . وعُمر حسان طويلا ، ومات فى عهد معاوية بن أبى سفيان . ويشير سراقة إلى قصيدة حسان فى مدح الغساسنة :

أسألتَ رسمَ الدار أم لم تَسْأَلِ   بين الجَوابِي فالبُضَيعِ فحَوْمَلِ
فالمَرْجِ مَرجِ الصُّفَّرَيْنِ فجَاسِمٍ   فديارِ سَلْمَى دُرَّسًا لم تُحْلَلِ
دِمَنٌ تعاقَبَها الرياحُ دَوارِسٌ   والمُدجِناتُ من السِّماكِ الأعزلِ
دارٌ لقومٍ قد أراهُمْ مَرَّةً   فوقَ الأعِزَّةِ عِزُّهُمْ لم يُنْقَلِ
للهِ دَرُّ عِصابةٍ نادمتُهُمْ   يومًا بجِلِّقَ فى الزمانِ الأوَّلِ
يَمْشُونَ فى الحُلَلِ المُضاعَفِ نَسْجُها   مَشْىَ الجِمالِ إلى الجِمالِ البُزَّلِ
الضَّارِبُونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بيضُه   ضَرْبًا يَطِيحُ له بَنانُ المَفْصِلِ
والخالِطُونَ فقيرَهُم بغَنِيِّهِمْ   والمُنْعِمُونَ على الضَّعِيفِ المُرْمِلِ
أولادُ جَفْنَةَ حولَ قَبْرِ أبيهِمِ   قَبْرِ ابنِ مارِيَةَ الكريمِ المُفْضِلِ
يُغْشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كلابُهُم   لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ
يَسْقُونَ مَن وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ   بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
يُسْقَوْنَ دِرْياقَ الرحيقِ ولم تكن   تُدْعَى وَلائِدُهم لِنَقْفِ الحَنْظَلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ   شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ
فلبِثْتُ أزمانًا طِوالًا فيهِمُ   ثم ادَّكَرْتُ كأنَّنى لم أفْعَلِ
إمّا تَرَىْ رأسِى تغيَّرَ لونُهُ   شَمَطًا فأصبحَ كالثَّغامِ المُخْوِلِ
ولقد أرانى مُوعِدِىَّ كأنَّنى   فى قَصْرِ دُومَةَ أو سَماءِ الهَيْكَلِ =

ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ فتمنَّعَتْ ... وَإِخَالُ أَنَّ قَرِينَهُ لَمْ يَخْذُلِ(١)

=ولقد شَرِبْتُ الخمْرَ فى حانُوتِها ... صَهْبَاءَ صافِيَةً كطَعْمِ الفُلْفُلِ

يَسْعَى علىَّ بكأسِها متنطِّفٌ ... فَيَعُلُّنِى منها ولو لم أَنْهَلِ

إنَّ التى ناوَلْتَنِى فرَدَدْتُها ... قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ

كِلْتَاهُمَا حَلَبُ العَصِيرِ فعَاطِنِى ... بزُجاجَةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ

بزُجاجَةٍ رَقَصَتْ بما فى قَعْرِها ... رَقْصَ القَلُوصِ براكبٍ مستعجِلِ

نَسَبِى أصِيلٌ فى الكِرَامِ ومِذْوَدِى ... تَكْوِى مَوَاسِمُهُ جُنُوبَ المُصْطَلِى

ولقد تُقَلِّدُنَا العَشِيرَةُ أمرَها ... ونَسُودُ يومَ النَّائِبَاتِ ونَعْتَلِى

ويَسُودُ سَيِّدُنا جَحَاجِحَ سَادَةً ... ويُصِيبُ قائِلُنا سَوَاءَ المَفْصِلِ

ونُحَاوِلُ الأمرَ المُهِمَّ خِطَابَةً ... فيهم ونفصِلُ كُلَّ أمرٍ مُعْضِلِ

وتَزُورُ أبوابَ المُلُوكِ رِكَابُنَا ... ومَتَى نُحَكَّمْ فى البَرِيَّةِ نَعْدِلِ

وفَتًى يُحِبُّ الحَمْدَ يجعلُ مالَهُ ... مِنْ دُونِ والدِهِ وإن لم يُسْأَلِ

باكَرْتُ لذَّتَهُ وما مَاطَلْتُها ... بزُجاجَةٍ من خَيْرِ كَرْمٍ أَهْدَلِ

(١) ه : « ابنه عبد الرحمن بن حسان » . وهو شاعر أيضا . وله حكاية ظريفة ، فقد تغزل بابنة معاوية ، فأراد يزيد أن يقتله ، ولكن معاوية هدّأه ، وأرسل إلى عبدالرحمن ، وقال له : إن ابنته الأخرى غاضبة لعدم تغزله بها ، ولم يكن لمعاوية بنات أخر ، فتغزل عبد الرحمن بالأخرى ، فظهر للناس كذبه ؛ وقد التجأ يزيد للأخطل ، فهجا عبد الرحمن والأنصار بالأشعار التى يقول فيها :

« واللؤم تحت عمائم الأنصار »

فدخل النعمان بن بشير على معاوية وخلع عمامته ، وقال : أترى لؤما ؟ فسكّن معاوية من غضبه ، ولكنه طلب منه أن يقطع لسان الأخطل ، فتوسط له ابنه يزيد .

و « يخذل » كذا فى ش ، ه . وفى ص : « يخدل » بالدال .

وَبَنُو أَبِى سُلْمَى يُقَصِّرُ سَعْيُهُمْ ... عَنَّا كَمَا قَصُرَتْ ذِرَاعًا جَرْوَلِ (١)
وَأَبُو بَصِيرٍ ثُمَّ لَمْ يَبْصُرْ بِهَا ... إِذْ حَلَّ مِنْ وَادِى الْقَرِيضِ بِمَحْفِلِ (٢)
وَاذْكُرْ لَبِيدًا فِى الْفُحُولِ وَحَاتِمًا ... سَيَلُومُكَ الشُّعَرَاءُ إِنْ لَمْ تَفْعَلِ (٣)
وَمُعَقِّرًا فَاذْكُرْ وَإِنْ أَلْوَى بِهِ ... رَيْبُ الْمَنُونِ وَطَائِرٌ بِالْأَخْيَلِ (٤)
وَأُمَيَّةَ الْبَحْرَ الَّذِى فِى شِعْرِهِ ... حِكَمٌ كَوَحْيٍ فِى الزَّبُورِ مُفَصَّلِ (٥)

---

(١) بنو أبى سلمى : أسرة زهير بن أبى سلمى الشاعر الشهير ، صاحب المعلقة المعروفة . وخاله شاعر ، وهو بشامة بن الغدير . وابناه كعب وبجير شاعران ، ولا ننسى أن نشير إلى قصيدة البردة لكعب ، التى مدح بها الرسول ، فوهب له بردته .

وفى هـ : «جرول : هو الحطيئة» ، الشاعر المخضرم الهجّاء المعروف الذى هجا أباه وأمه ونفسه وزوجته .

(٢) أبو بصير الأعشى ، واسمه ميمون ، شاعر جاهلى أدرك الرسول ، وذهب إليه ليسلم ويمدحه ، فقابلته قريش ومنحته الهبات ، والتمست منه الرجوع ، فرجع ومات فى طريقه . وكان يسمى صناجة العرب ، لأنه كان يغنى شعره على الصنج .

(٣) لبيد الشاعر المخضرم صاحب المعلقة أدرك الرسول ؛ وسكت عن قول الشعر بعد إسلامه ، ويقال إنه لم يقل إلا بيتا واحدا ، وهو :

الحمد لله إذ لم يأتنى أجلى ... حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وحاتم الطائى الجواد المعروف ، الذى يُضرب به المثل ، وقد كثرت القصص عن كرمه فى حياته وبعد مماته ، وله ديوان مطبوع .

(٤) معقر بن حمار البارق : هو معقر بن الحارث بن أوس ، شاعر محسن متمكن ، كذا قال الآمدى فى المؤتلف والمختلف .

وفى هـ : «الأخيل : الشقِرّاق ، وهم يتشاءمون به» . ولعل المراد بالأخيل هنا : اسم مكان بين دور عبدالله بن غطفان ودور طيئ ، كما فى معجم ما استعجم للبكرى . ولعل معقرا مات هناك .

(٥) أمية بن أبى الصلت الشاعر المخضرم عاش بالطائف ، وكان يتحنف قبل الإسلام ، ويرجو أن يكون الرسول المنتظر ، فلما ظهر النبى حسده ولم يؤمن به . وله شعر يبين عن

وَالْيَـذْمُرِىُّ عَلَى تَقَادُمِ عَهْـدِهِ ... مِمَّنْ قَضَيْتُ لَهُ قَضَـاءَ الْفَيْصَلِ (١)
وَاقْذِفْ أَبَا الطَّمَحَانِ وَسْطَ خُوَانِهِمْ ... وَابْنُ الطَّرَامَةِ شَاعِرٌ لَمْ يُجْهَلِ (٢)
لَا وَالَّذِى حَجَّتْ قُرَيْشٌ بَيْتَهُ ... لَوْ شِئْتُ إِذْ حَدَّثْتُكُمْ لَمْ آتَلِ (٣)
مَا نَالَ بَحْرِى مِنْهُمُ مِنْ شَاعِرٍ ... مِمَّنْ سَمِعْتَ بِهِ وَلَا مُسْتَعْجِلِ (٤)
إِنِّى فَتًى أَدْرَكْتُ أَقْصَى سَعْيِهِمْ ... وَغَرَفْتُ مِنْ بَحْرٍ وَلَيْسَ بِجَدْوَلِ (٥)
وَغَرَفْتُ بَحْرًا مَا تَسُدُّ عُيُونَهُ ... أَرْبَى عَلَى كَعْبٍ وَبَحْرِ الْأَخْطَلِ (٦)
وَعَلَى ابْنِ مَحْكَانَ الَّذِى أَحْكَمْتُهُ ... فَتَرَكْتُهُ مِثْلَ الْخَصِىِّ الْمُرْسَلِ (٧)
وَحَلِيفِ إِبْلِيسَ الَّذِى هُوَ جَارُهُ ... وَبِهِ يُغَيِّرُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْضِلِ

= إيمان بالله وأبيات تشبه الآيات القرآنية شبها قريبا والزبور : الكتاب

(١) بحثت عن اليذمرى كثيرا ، ولكنى لم أجد شاعرا بهذا الاسم . ولعل اللفظ محرف عن اليعفرى أوما أشبهه . ولعله يريد الأسود بن يعفر النهشلى .

والفيصل : القاطع المفرق بين الحق والباطل . يريد السيف أو القاضى العادل

(٢) أبو الطمحان القينى ، واسمه حنظلة بن الشرق ، شاعر محسن مشهور . و « أبو الطمحان » كذا فى ش . وفى ص : « أبو طمحان » . و «خوانهم» كذا فى ش . وفى ص : « حوانهم » بالحاء . وفى هـ : « هو ابن الطرامة الكلبى ، ويروى : لم يخمل . ويخمل أى يذهب شعره » .

(٣) هـ : « بخطه ، ايتل » فى موضع « آتل » .

(٤) كذا فى الأصول . ولعله محرف عن مستفحل .

(٥) « سعيهم » كذا فى ش . وفى ص : « سعرهم » وهو تصحيف وفى نسخة المجلة الأسيوية : شعرهم .

(٦) هـ : « كعب بن جعيل أو كعب بن زهير » . والأخطل التغلبى شاعر البلاط الأموى فى عهد عبد الملك بن مروان ؛ وقد اشتبك مع جرير فى عدة أهاج ، وهو فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين .

(٧) مُرّة بن مَحْكَان السعدى التميمى ، من بطن يقال لهم بنو رُبَيْع ، وكان سيدهم . وقد قتله صاحب شرطة مصعب بن الزبير .

وَهُدَيْبَةَ الْعُذْرِىَّ زَيَّنَ شِعْرَهُ ... مَا قَالَ فِى سِجْنٍ وَقَيْدٍ مُثْقِلِ (١)

فَإِذَا تَقَبَّلَ رَبُّنَا مِنْ شَاعِرٍ ... لَقِىَ الفَرَزْدَقُ لَعْنَةَ الْمُتَبَهِّلِ (٢)

عَمْدًا جَعَلْتُ ابْنَ الزَّبِيْرِ لِذَنبِهِ ... يَعْدُو وَرَاءَهُمُ كَعَدْوِ الثَّيْتَلِ (٣)

ذَهَبَ السَّوَابِقُ غُدْوَةً وَتَرَكْنَهُ ... إِنِّى كَذَلِكَ مَنْ أُنَاضِلْ يُنْضَلِ

مَنْ شَاءَ عَاقَبَنِى فَلَمْ أَغْفِرْ لَهُ ... أَوْ صَدَّعَنِى بَعْدَ جَذْعٍ مُؤْصِلِ

***

ذكروا (٤) :

---

(١) هدبية : تصغير هدبة بن خشرم العذرى ، الذى تشاتم مع زيادة بن زيد العذرى ، فأهانه زيادة ، فتربص له هدبة ، وقتله غيلة ثم هرب ، ولكن الوالى حبس أهله ، فرجع هدبة وأسلم نفسه ، فحُبِس وقُتل . فى ه : « ما نال من سجن » فى موضع « ما قال فى سجن » .

(٢) فى ه : « فعَلَى الفرزدق » .

(٣) عبد الله بن الزَّبِير كوفى المنشأ ، كان من شيعة الأمويين ، واتصل بمصعب ابن الزُّبير ، ومدح أسماء بن خارجة ، وقد سجنه زفر بن الحارث بقرقيسياء ، ومدح عبد الملك ابن مروان وأخاه بشرا .

(٤) أحببت أن أطلعك على هذا الحادث فى كتب التاريخ ، كى تتصور الموقعة تصورا كاملا ، فهاك الخبر من كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير ، من حوادث عام ٦٦ ه . الجزء الثامن ص ٢٦٩ .

« أرجف أهل الكوفة بالمختار ، وقالوا قُتل يزيد بن أنس « أحد قواد المختار » فى المعركة ، وانهزم جيشه ، وعما قليل يقدم عليكم ابن زياد « الذى كان يزيد بن أنس يحاربه » ، فيستأصلكم ، ويشتف خضراءكم ، ثم تمالئوا على الخروج على المختار ، وقالوا : هو كذاب . واتفقوا على حربه وقتاله ، وإخراجه من بين أظهرهم ، واعتقدوا أنه كذاب ؛ وقالوا قد قدم موالينا على أشرافنا ، وزعم أن ابن الحنفية قد أمره بالأخذ بثأر الحسين ، وهو لم يأمره بشىء ، وإنما هو متقول عليه . وانتظروا بخروجهم عليه أن يخرج من الكوفه إبراهيم بن=

أن المختار(١) لما ظفر بالكوفة غدَر به أشرافها ، فثار عبد الرحمن

= الأشتر ، فإنه قد عينه المختار أن يخرج فى سبعة آلاف للقاء ابن زياد . فلما خرج ابن الأشتر اجتمع أشراف الناس ممن كان فى جيش قتلة الحسين وغيرهم ، فى دار شَبَث بن رِبعى ، وأجمعوا أمرهم على قتال المختار ، ثم وثبوا ، فركبت كل قبيلة مع أميرها فى ناحية من نواحى الكوفة ، وقصدوا قصر الإمارة ، وبعث المختار عمرو بن توبة بريدا إلى إبراهيم بن الأشتر ، وقال : إن كنتم لا تصدقوننى فى أمر محمد بن الحنفية فابعثوا من جهتكم ، وأبعث من جهتى من يسأله عن ذلك ، ولم يزل يطاولهم حتى قدم ابن الأشتر بعد ثلاث . فانقسم هو والناس فرقتين : فتكفل المختار بأهل اليمن ، وتكفل ابن الأشتر بمضر وعليهم شبَث بن ربعى ، وكان ذلك بإشارة المختار ، حتى لا يتولى ابن الأشتر بقتال قومه من أهل اليمن ، فيحنو عليهم ، وكان المختار شديدا عليهم .

ثم اقتتل الناس فى نواحى الكوفة قتالا عظيما ، وكثرت القتلى بينهم من الفريقين ، وجرت فصول وأحوال حربية يطول استقصاؤها ، وقتل جماعة من الأشراف منهم عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الكندى ، وسبعمئة وثمانين رجلا من قومه ، وقتل من مضر بضعة عشر رجلا ، ويعرف هذا اليوم بجبانة السبيع . وكان ذلك يوم الأربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة ست وستين . ثم كانت النصرة للمختار عليهم ، وأسر منهم خمس مئة أسير ، فعرضوا عليه ، فقال : انظروا من كان منهم شهد مقتل الحسين فاقتلوه . فقُتل منهم مئتان وأربعون رجلا . وقتل أصحابه منهم من كان يؤذيهم ويسىء إليهم بغير أمر المختار ، ثم أطلق الباقين » .

ثم يذكر ابن كثير قصة سراقة كما جاءت فى الديوان ، فاقتصرت عليها هناك .

(١) المختار بن أبى عبيد الثقفى ، كان رجلا طموحا يريد أن يتولى الكوفة بل الدولة الإسلامية ، فحارب مع عبد الله بن الزبير ، ثم تحبب إلى الشيعة ، وادعى أنه نائب محمد بن الحنفية ، وتولى الكوفة عام ٧٥ بعد حروب ، وطرد منها عبد الله بن مطيع والى ابن الزبير ، وأخذ يظهر الطاعة لابن الزبير ، ثم انقلب عليه وأظهر التشيع ، وكان أول من قال بالبداء ، وزعم أنه يعلم الغيب ، وأن الملائكة تحارب فى صفه ، وأتى بكرسى ، وقال لجنده : هو لكم مثل التابوت للإسرائيليين . وله عدة مزاعم فاسدة ، وتنتمى إليه طائفة الكيسانية ، التى نُسبت إلى كيسان صاحب شرطته . وقد قتله مصعب بن الزبير عام ٦٧ هـ .

ابن مِخنف فى جَبَّانة الصَّائِدِيِّين* ، وثار عبد الرحمن بن الاشْعث فى جبَّانة كِنْدَة* ، وثار سعيد بن قيس الهَمْدانى فى جَبَّانة السَّبيع* ، وثار محمد ابن عُمير التميمى ، وشَبَث بن رِبْعِىّ فى المُضَرية والرَّبعية فى الكُناسَة* . فأصبح المختار وقد غدر به أهل الكوفة ، فخرج حتى وقف بالرَّحْبَة* طويلا ، يؤامر نفسه ، إلى أى الفريقين يسير : إلى اليمانية أم إلى المضرية . ثم دعا إبراهيم(١) ابن الأشتر ، وأمره بالمسير إلى المُضَرِية . فقال إبراهيم : بعثتَنى إلى أهون الشوكتين ، فَدَعْنى أسير إلى أصحابى ، وقِف أنت مكانك ، فإنّا إنْ ظفرنا بهؤلاء انهزم الآخرون من غير قتال . فسار إليهم إبراهيم بن الأشتر ، فقُتِل يومئذ أشراف أهل الكوفة ، وقتل سعيد بن قيس ، وارتُثّ عبد الرحمن بن مِخْنف بجراحة ، وحُمِل إلى بيت امرأته من همدان ، وانهزم الناس ، وأُسِر منهم سبعون من معروفى أهل الكوفة ، فيهم من الشعراء ثمانية: سُراقة بارق ، وأعْشى هَمْدان(٢) ،

(*) أمكنة بالكوفة .

(١) إبراهيم بن الأشتر القائد العظيم الذى يسترضيه كل حزب ويستميله إليه ، هو ابن الأشتر النَّخَعِى صاحب الإمام على ، الذى مات مسموما على حدود مصر . وقد استعان المختار بإبراهيم عند انتزاعه ولاية الكوفة من عبد الله بن مطيع ، وفى محاربة عبيد الله بن زياد . واستعان به مصعب بن الزبير ، وقد ظل وفياله إلى آخر حياته ، بالرغم من إغراء عبد الملك ابن مروان الملح ، وتوفى مع مصعب عام ٧١ ﻫ .

(٢) أعشى همدان : شاعر كوفى من شعراء الدولة الأموية . وكان زوج أخت الشعبى والشعبى زوج أخته . وكان أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وخرج مع ابن الأشعث ، فأتى به الحجاج ، فقتله صبرا . وكان الأعشى ممن أغزاه الحجاج الديلم فأسر ، فلم يزل أسيرا فى أيديهم مدة ، ثم إن بنتا للعلج الذى كان أسره هويته ، وسارت إليه =

وابن همّام السَّلُولِىّ(١) ، وابن الزَّبِير الأسَدِىّ . وكان المختار لا يؤتَى بأسير إلا قتله ، فلما أدخلوا المسجد الأعظم وهو قاعد ينتظر مجيئهم بهم ، فلما كانوا فى وسط المسجد ، أمر بهم فصُرِفوا إلى السجن ، فقال سُراقة : يا هؤلاء هذه أول العافية . ثم نادى بأعلى صوته :

امْنُنْ عَلَى الأَقْوامِ يَاخَيْرَ مَعَدْ(٢) وَخَيْرَ مَنْ لَبَّى وَحَيَّا وَسَجَدْ(٣)

[وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشِحْرٍ وَالْجَنَدْ](٤)

فقال المختار : من هذا المنادى ؟ قالوا : سراقة بارق . فقال : علىَّ بالفاسق . فلما أُتِىَ به ، قال المختار : كيف رأيتَ صُنْعَ اللهِ بمن غدر وفجر ؟ فقال سراقة : امْنُنْ علىّ . قال : أمّا والله ، حتى أقتلك قتلةً ماقتلتُها أحداً قبلك من العرب ، فلا(٥) .

= ليلا ، وقالت له : أرأيتَ إنْ خلصتُكَ أتَصْطفينى لنفسك ؟ فقال : نعم ، وعاهدها . فحلّت قيوده ، وأخذت به طريقا تعرفها حتى خلصته .

(١) عبد الله بن همام السلولى من بنى مرة بن صعصعة من قيس عيلان ، وبنو مرة يعرفون ببنى سلول ، لأنها أمهم ، وهى بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة . وعبد الله هو القائل ليزيد ابن معاوية يعزيه عن أبيه :

اصبِرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ واشكُرْ حِباءَ الذى بالمُلْكِ حابَاكا
لارُزْءَ أعظمُ فى الأقوامِ نَعْلَمُهُ كما رُزِئتَ ولا عُقْبَى كعُقْبَاكا
أصبحتَ راعِىَ أهل الدين كُلِّهِمِ فأنتَ ترْعاهُمُ واللهُ يرْعَاكا

(٢) « على الأقوام » كذا ص ، ش . وفى ط ، ك ، ب : « علىّ اليوم » .

(٣) « حيَّا » كذا ص ، ش ، ط ، ك . وفى ب : « صام » .

(٤) ك : « بتجر » فى موضع « بشحر » . وشحر : هو ساحل البحر بين عمان وعدن . و« الجند » : كذا فى ط ، ب . وفى ك ، ه : « جند » . وهى بلد باليمن . وهذا البيت زيادة من ه ، ط ، ك ، ب .

(٥) فى ش : « أما والله ، أقتلك قتلة ما قتلها أحد قبلك » .

[قال سراقة : ومتى تقتلني ؟ قال : اليوم][1] . فقال سراقة : ما جعلك الله على ذلك قادرا اليوم ، وَلَتَقْتُلَنِّي . قال : فمتى ؟ قال : تَمُنُّ عليَّ ، ثم أغدِر الثانية ، فتظفر بالعراق ، ثم تأتي الشام ، فتظفر بها إلا دمشق ؛ تحاصِر أهلها ، ثم تفتحها ، فتذبح على دَرَج دمشق تسعة وتسعين من كِبَاش العرب ، ثم تُتِمُّهم بي مِئة . ووالله ما أصحابك هزمونا . قال : فمن هزمكم ؟ قال : هزمنا قومٌ على الخيول البُلْق ، والبراذين الشُّهْب ، عليهم العمائم . فقال المختار لأصحابه : اسمعوا يا شُرْطة الله ، تلكمُ الملائكة . ثم أمر سراقة فصعِدَ المنبر ، فأخبَر بن هزمه ، فأمره أن يحلف لهم ، فقال[2] سراقة : فوالله ، ما حلفتُ بيمين قطُّ ، أنا فيها صادق ، كنتُ أشدَّ اجتهادا مني في يميني تلك ، وأنا فيها كاذب ، رجاء أن أفلت من المختار[3] .

---

(١) زيادة من ص ، وساقطة من ش .

(٢) ش : « قال » بدون فاء

(٣) نسب الجاحظ هذه القصة لغير سراقة في كتاب المحاسن والأضداد ، في فضائل محاسن الدهاء والحيل ، قال :

« قدم شيخ من خزاعة أيام المختار ، فنزل على عبد الرحمن بن أبان الخزاعي ، فلما رأى ما تصنع سوقة المختار بالمختار من الإعظام ، جعل يقول : يا عباد الله ، أبالمختار يُصنع هذا ؟ والله ، لقد رأيته يتتبع الإماء بالحجاز . فبلغ ذلك المختار ، فدعا به وقال : ما هذا الذي بلغني عنك ؟ قال : الباطل . فأمر بضرب عنقه ، فقال : لا والله ، لا تقدر على ذلك . قال : ولم ؟ قال : أما دون أن أنظر إليك وقد هدمت مدينة دمشق حجرا حجرا ، وقتلت المقاتلة ، وسبيت الذرية ، ثم تصلبني على شجرة على نهر ، فلا ؛ والله إني لأعرف الشجرة الساعة ، وأعرف شاطىء ذلك النهر . فالتفت المختار إلى أصحابه ، فقال لهم : أما إن الرجل قد عرف الشجرة . فحبس ، حتى إذا كان الليل بعث إليه ، فقال : يا أخا خزاعة ، أو مزاح عند القتل ؟ قال : أنشدك الله أنْ أُقْتل ضياعا . قال : وما تطلب ها هنا ؟ قال : أربعة آلاف درهم أقضي بها ديني . قال : ادفعوا له ذلك ، وإياك أن تصبح بالكوفة . فقبضها وخرج .

ثم أمر المختار به إلى السجن ، فبات فيه سراقة ليلته ، ثم [بعث] (١) إليه بأبيات هى :

أَلَا أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَّا ... نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا (٢)

خَرَجْنَا لَا نَرَى الضُّعَفَاءَ شَيْئًا ... وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطَرًا وَحَيْنَا (٣)

نَرَاهُمْ فِى مَصَفِّهِم قَلِيلًا ... وَهُمْ مِثْلُ الدَّبَى حِينَ الْتَقَيْنَا (٤)

[بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا ... رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْنَا] (٥)

لَقِينَا مِنْهُمُ ضَرْبًا طِلَخْفًا ... وَطَعْنًا صَائِبًا حَتَّى انْثَنَيْنَا (٦)

---

(١) « بعث » : كذا فى ش ، وساقطة من ص .

(٢) « أبلغ » : كذا فى الجميع إلا ب : « أخبر » .

وأبو إسحق : كنية المختار . وفى س : « غزونا غزوة » . وفى ف : « حملنا حملة » فى موضع « نزونا نزوة » .

(٣) س : « الضغناسيا » فى موضع « الضعفاء شيئا » . و « بطرا » فى جميع النسخ إلا س : « نظرا » والبطر : الأشر . والحين : الهلاك .

(٤) س ، ف : « تراهم » بالتاء بدلا من النون . وفى ط ، ف ، ب : « مصافهم » فى موضع « مصفهم » . والشطر الأول فى هـ : « حسبناهم لنا عسلا مشوبا » . وفى هـ : « وكانوا كالدبى » فى موضع « وهم مثل الدبى » . وفى ب : « الربا » بالراء بدل الدال . والدبى : صغار الجراد قبل أن يطير . وفى س ، ف ، ع : « لما » بدل « حين » .

(٥) البيت زيادة من ش ، ط ، ب . وساقط من الأصلين .

(٦) ب : «رأينا» بدل «لقينا» . وفى ط . «طلحفا» بالحاء . وفى ب : «وطحنا» . والطلخف والطلحف : الشديد . وفى س : ضاحكا ، فى موضع «صائبا» . وفى س : «انتبتنا» بدلا من « انثنينا » .

نُصِرْتَ على عدوِّك كلَّ يومٍ ... بِكُلِّ كَتيبةٍ تَنْعى حُسَيْنا(١)
كَنَصْرِ مُحَمَّدٍ في يومِ بَدْرٍ ... وَيَوْمِ الشِّعْبِ إذْ لاقَى حُنَيْنا
فَأَسْجِحْ إذْ مَلَكْتَ فلو مَلَكْنا ... لَجُرْنا في الحُكُومَةِ واعْتَدَيْنا(٢)
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنِّي فإنِّي ... سَأَشْكُرُ إنْ جَعَلْتَ العَفْوَ دِيْنا(٣)
كَذاكَ تَرى سُراقَةَ فاصْطَنِعْهُ ... فَذاكَ يَزِيدُ مَنْ عاداكَ شَيْنا(٤)

فلما انتهوا به إلى المختار، قالوا: هذا سراقة بن مرداس، يحلف بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل معكم على الخيل البُلْق، بين السماء والأرض. فقال له المختار: اصعَدِ المنبر، فأعلمْ ذلك المسلمين. فصعد، فأعلمهم ذلك، ثم نزل، فخلا به المختار، فقال له: إنى قد علمت أنك لم تَرَ الملائكة، ولكنْ أردتَ ما عرفتُ: ألّا أقتلك، فاذهب عنى حيث أحببتَ، لا تفسدْ علىّ أصحابى. فخلّى سبيله. وقال له: تهيّأ لدخول دمشق.

قال أبو مخنف: فحدثنى الحجاج بن على البارقى، قال: قال سراقة: ما كنتُ فى أيْمانٍ حلفتُ بها قطّ أشدَّ منى اجتهادا، ولا مبالغة فى الكذب، منى فى أيمانى هذه التى حلفتُ بها أنى رأيتُ الملائكة تقاتل معهم. فخلّوا

(١) س: « كثبة تتق » فى موضع « بكل كتيبة تنعى ». والحسين هو ابن على بن أبى طالب، لأن المختار شيعى، وقد خرج ليثأر للحسين من قتلته.

(٢) سجح: عفا. و« إذ » كذا فى ب، وفى ف: « إن ». والبيت زيادة من ب، ف، وساقط من الأصلين.

(٣) « العفو » كذا فى ب، وفى باقى النسخ: « النقد ».

(٤) ش: « كذاك » فى موضع « فذاك » وهو تصحيف. والشين: العيب.

سبيله ، فلحق بعبدالرحمن بن مِخْنَف عند المصعب[١] بالبصرة . فقال سراقة فى ذلك :

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا إِسْحَاقَ أَنِّى ... رَأَيْتُ الْبُلْقَ دُهْمًا مُصْمَتَاتِ[٢]

كَفَرْتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْرًا ... عَلَىَّ قِتَالَكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ[٣]

أُرِى عَيْنَىَّ مَالَمْ تَرْأَيَاهُ ... كِلاَنَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ[٤]

إِذَا قَالُوا أَقُولُ لَهُمْ كَذَبْتُمْ ... وَإِنْ خَرَجُوا لَبِسْتُ لَهُمْ أَدَاتِى

---

(١) مصعب بن الزبير : أخو عبدالله بن الزبير ، تولى العراق بعد قتله المختار سنة ٦٧ هـ ، وقد حاربه عبد الملك بن مروان وقتله عام ٧١ . وكان مصعب شجاعا جوادا بخلاف أخيه الذى كان كزا شحيحا ، ولذلك مدح الشعراء المصعب وتركوا عبد الله . وكان عبد الملك يمدح شجاعة مصعب كثيرا .

(٢) ب : « أخبر » فى موضع « أبلغ » . والشطر الأول فى ف ، ع : « ألا من مبلغ المختار عنى » ، والبلق : جمع أبلق وبلقاء ، وأراد الخيل البُلق ، وهى التى فيها بياض وسواد . والدهم : جمع أدهم ودهماء من الدهمة وهى السواد . وأراد أن الخيل البلق التى ذكرت أنها تطير ، إنما هى خيل دهم ، نحاربك عليها . وفى ف : « مضمرات » بدلا من « مصمتات » . والمصمت : الذى لا يخالط لونه أى لون آخر .

(٣) غ ، ع : « بدينكم » فى موضع « بوحيكم » . وفى ز : « ورأيت » بدلا من « وجعلت » . وفى س : « هجاءكم » بدلا من « قتالكم » . وفى هـ :

..... وبرئت منكم * ومن أشياعكم حتى المهات

(٤) الشطر الأول كذا فى ص ، ش ، ف ، ع ، ز ، ن . وفيه مشكلة صرفية ، وهى إثبات الهمزة فى « ترأياه » والقياس نقل حركتها إلى الراء وحذفها ؛ قال ابن جنى فى « سر الصناعة » : « وقد رواه أبو الحسن « مالم تَرَيَاهُ » على التخفيف الشائع عنهم فى هذا الحرف على زحاف الوافر » . ويقول الزجاجى فى أماليه الكبرى : « أما قوله « ترْأيَاه » فانه رده إلى أصله ، والعرب لم تستعمل « يرى » و« ترى » و« نرى » و« أرى » إلا باسقاط الهمزة تخفيفا ، فأما فى الماضى فإنها مثبتة . وكان المازنى يقول : الاختيار عندى أن أرويه « لم تَرَيَاهُ » بغير همز ، لأن الزحاف أيسر من ردّ هذا إلى أصله » . وتخلص بعضهم منه =

[فلما بلغ المختارَ ذهابُه إلى البصرة وشعرُه هذا هدم دارَه ، فبناها مُصعَب حيث[1] قُتِلَ المختار .

وقال سراقة :

عَيْنَيَّ جُودَا ... ...

وهى مكتوبة فى آخر الديوان فى الزيادات[2]] .

***

حدثه عُمر بن شَبّة قال : حدثنى عبدالله بن محمد بن حكيم ، عن خالد بن سعيد ابن عمرو بن سعيد ، عن أبيه ، قال : قَحط الناس فى زمن بشر بن مروان ، فخرجوا فاستسقَوا ، وبشر معهم ، فرجعوا وقد مُطِروا ، ووافق ذلك سيلا جاء من الليل ، فغرقت ناحية بارق وبنى سُلَيم ، فخرج بشر من الغد ينظر إلى آثار المطر ، حتى انتهو إلى بارق ، فإذا الماء فى دار سراقة بن مرداس البارقى ، وسراقة قائم فى الماء . فقال : أصلح الله الأمير ، إنك دعوتَ أمس ولم ترفع يديك ، فجاء ما ترى ، ولو كنت رفعتَ يديك لجاء الطُّوفان . فضحك بشر ، فأنشأ سراقة يقول :

دَعَا الرَّحْمنَ بِشْرٌ فَاسْتَجَابَا ... لِدَعْوَتِهِ فَأَسْقَانَا السَّحَابَا

وَكَانَ دُعَاءُ بِشْرٍ صَوْبَ غَيْثٍ ... يُعَاشُ بِهِ وَيُحْيِي مَا أَصَابَا[3]

= روايته « تبصراه » كما فى هـ ، غ ، ك ، ط . وقال الأصمعى : الترهات : الطرق الصغار غير الجادّة ، تتشعب عنها ، الواحدة ترّهَـة ، فارسىّ معرب ، ثم استعير فى الباطل .

(١) كذا فى ص . ولعلها : حين أو بعد .

(٢) ما بين المعقوفين فى ص ، وساقط من ش .

(٣) صوب الغيث : نزوله .

أغَرُّ بِوَجْهِهِ يُسْقَى وَيُحْيَا   وَنَسْتَجْلِي بِغُرَّتِهِ الضَّبَابَا

***

وقال سُراقة يرثى محمد بن مِخْنَف يوم جَبّانة السَّبِيع :

لَمْ أَرَ مِثْلَ الْخَيْلِ خَيْلِ ابْنِ مِخْنَفٍ   غَدَاةَ انْتَدَى بِالشَّاكِرِيِّ ابْنُ كَامِلِ (١)

أَشَدَّ وَلاَ أَمْضَى عَلى الْهَوْلِ مَقْدَمًا   وَأَقْتَلَ لِلْقِرْنِ الْمُشِيحِ الْمُنَازِلِ (٢)

شَدَدْنَا وَشَدُّوا واضْطَرَبْنَا فَلَمْ نَخِمْ   وَوَلَّوْا سِرَاعًا كَالنَّعَامِ الْجَوَافِلِ (٣)

فَمَا لَبِثَ الْمُخْتَارُ أَنْ كَرَّ خَيْلَهُ   عَلَيْنَا فَأَلْوَتْ بِالْكِرَامِ الأَمَاثِلِ (٤)

وَصَكَّتْ عَلَيْنَا قَوْمَنَا مِنْ وَرَائِنَا   فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ بَيْنَنَا وَمُقَاتِلِ (٥)

فَمَا بَرِحَ الْقَرْمُ الرَّئِيسُ ابْنُ مِخْنَفٍ   يُقَاتِلُ حَتَّى خَرَّ غَيْرَ مُوَائِلِ (٦)

وَنَجَّاهُ ضَرْبُ الأَزْدِ تَزْجُرُ حَوْلَهُ   وَتَضْرِبُ عَنْهُ بِالسُّيُوفِ الْقَوَاصِلِ (٧)

---

(١) ص ، ش : «اجتدى» فى موضع «انتدى» . وانتدى : بمعنى اجتمع ، أى اجتمع بالشاكرى فى الحرب ، وانتدى : بمعنى صاح أيضا ، أى صاح به ليحاربه .

وابن كامل هو عبد الله بن كامل الشاكرى الشيعى ، أرسله الكوفيون ليسأل محمد بن الحنفية عن المختار . وقد جعله المختار على شرطته ، وحارب مصعب بن الزبير مع المختار .

(٢) القرن : كفؤك فى الشجاعة . والمشيح : المقدم عليك .

(٣) «نخم» كذا فى ش وفى ص : «نخم» . ونخم : أى نثقل ونسترخى . والجوافل : المنزعجة الهاربة .

(٤) ألوى به : ذهب به . وألوت به الخيل : قتلته .

(٥) صك : ضرب .

(٦) « القرم » : كذا فى ش . وفى ص : « القزم » . والقرم : السيد . وموائل : طالب للنجاة .

(٧) القواصل : القواطع .

وَمِنْ دُونِهِ حَامِى أَخٌ ذُو حَفِيظَةٍ كَرِيمُ النَّثَا وَالْخِيمِ حُلْوُ الشَّمَائِلِ (١)
أَغَرُّ كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَرْوَعُ مَاجِدٌ نَجِيبٌ عَنِ الْأَعْدَاءِ لَيْسَ بِنَاكِلِ (٢)
وَضَارَبَ حَتَّى أَقْصَدَتْهُ رِمَاحُهُمْ فَبُورِكْتَ مِنْ وَرَّادِ مَوْتٍ حُلَاحِلِ (٣)
سَخَوْتَ بِنَفْسٍ عِنْدَ ذَاكَ عَزِيزَةٍ عَلَيْنَا وَأَجْلَى كُلُّ وَانٍ وَخَاذِلِ (٤)
فَيَا عُمَرَ الْخَيْرِ الْكِرَامِ ابْنَ مِخْنَفٍ عَلَيْكَ اسْتَفَاضَتْ عَبْرَتِى غَيْرَ ذَاهِلِ (٥)
سَأَبْكِيكَ مَالَمْ تَنْزَحِ الْعَيْنُ مَاءَهَا وَمَا أَثْبَتَتْ فِى رَاحَتَىَّ أَنَامِلِى

***

وقال سُراقة يمدح إبراهيم بن الأَشْتَر وأصحابه فى قتل ابن مَرْجانة ، وهُو عُبيد الله بن زياد (٦) :

أَتَاكُمْ غُلَامٌ مِنْ عَرَانِينِ مَذْحِجٍ جَرِىءٌ على الْأَعْدَاءِ غَيْرُ نَكُولِ (٧)
فَيَا بْنَ زِيَادٍ بُؤْ بِأَعْظَمِ مَأْبَإٍ وَذُقْ حَدَّ مَاضِى الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ (٨)

---

(١) الحفيظة : الحمية والغضب . والنثا : الذكر الحسن أو القبيح . والخيم : الطبع .
(٢) ش « كريم » : موضع « نجيب » .
(٣) هـ : « أى رزين » .
(٤) « وان » : كذا فى ش . والوانى : الضعيف . وفى ص : دان .
(٥) « الكرام » كذا فى ش . وفى ص : « الكريم » .
(٦) عبيد الله بن زياد بن أبيه ولى البصرة سنة ٥٥ ، ثم ضمت إليه خراسان ، ولكنه عزل عنها سنة ٥٦ ، ثم ضمت إليه الكوفة عام ٦٠ هـ . وثار عليه الكوفيون والبصريون سنة ٦٤ فهرب إلى الشام . وكان هو الوالى الذى قُتل فى عهده الحسين ، ولذا أرسل إليه المختار جيشا بقيادة إبراهيم بن الأشتر سنة ٦٧ فحاربه وقتله .
(٧) العرانين : جمع عرنين ، وهو هنا السيد الشريف .
(٨) ط ، ب ، ك : « هالك » فى موضع « مأبا » وباء بالإثم : بمعنى رجع به وحمله .

ضَرَبْنَاكَ بِالْعَضْبِ الْحُسَامِ فَلَمْ نُجِزْ ... إِذَا مَا أَبَأْنَا قَاتِلًا بِقَتِيلِ (١)
جَزَى اللهُ خَيْرًا شُرْطَةَ اللهِ إِنَّهُمْ ... شَفَوْا مِنْ عُبَيْدِ اللهِ أَمْسِ غَلِيلِي (٢)
وَأَجْدِرْ بِهِنْدٍ أَنْ تُسَاقَ سَبِيَّةً ... لَهَا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ شَرُّ حَلِيلِ (٣)

* * *

وقال سراقة أيضا حين بلغه أن ربيعة تهدد ابن الأشتر فى قتل إياس ابن مُضَارب(٤) :

---

(١) ط : « بحدة » : فى موضع « فلم نجر » . وفى ب : « نجيعه » . وفى ب : « أأنانا قتيلا » فى موضع « أبأنا قاتلا » . وباء الرجل بصاحبه بوءًا ، إذا قُتِل به .

(٢) شرطة الله : جند المختار .

(٣) هند بنت أسماء زوجة عبيد الله بن زياد ، وقد كانت معه حين حاربه ابن الأشتر ، وعندما قتل زوجها ذهب بها أخوها عيينة بن أسماء وهو يرتجز :

إِنْ تَصْرِمِي حِبَالَنَا فَرُبَّمَا ... أَرْدَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكَمِيَّ الْمُعْلَمَا

وبنو إسحاق : أبناء المختار .

(٤) إياس بن مضارب : صاحب شرطة عبد الله بن مطيع ، والى عبد الله ابن الزبير على الكوفة ، وقد قتله إبراهيم بن الأشتر فى أثناء خروج المختار على ابن مطيع ، وهاك قصة قتله فى حوادث عام ٦٦ من الكامل لابن الأثير :

« وخرج إبراهيم بن الأشتر يريد المختار ليلة الثلاثاء ، وقد بلغه أن الجبانين (كذا فى الأصول ، ولعله الجبانات) قد ملئت رجالا ، وأن إياس بن مضارب فى الشرط قد أحاط بالسوق والقصر ، فأخذ معه من أصحابه نحو مئة دارع ، وقد لبسوا عليها الأقبية ، فقال له أصحابه : تجنب الطريق . فقال : والله ، لأمرن وسط السوق بجنب القصر ، ولأرعبن عدونا ، ولأرينهم هوانهم علينا . فسار على باب الفيل ، ثم على دار عمرو بن حريث ، فلقيهم إياس بن مضارب فى الشرط ، مظهرين السلاح ، فقال : من أنتم ؟ فقال إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر . فقال إياس : ما هذا الجمع الذى معك ؟ وما تريد ؟ ولست بتاركك حتى آتى بك الأمير . فقال =

أَتُوعِدُنَا رَبِيعَةُ فِي إِيَاسٍ   وَأَيَّ الدَّهْرِ أَوْعَدَنَا قَبِيلُ
حَرُورِيٌّ تَكَنَّفَهُ الْمَوَالِي   وَعَضَّ بِرَأْسِهِ سَيْفٌ ثَقِيلُ(١)
وَإِبْرَاهِيمُ مُعْتَزٌّ هِزَبْرٌ   لَهُ فِئَةٌ تَقُولُ كَمَا يَقُولُ(٢)
يَمَانِيَةٌ تَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ   وَتَخْطِرُ فِي جَوَانِبِهَا الْفُحُولُ(٣)
حَمَى الضِّيفَانَ إِذْ جَالَتْ نِزَارٌ   كَمَا جَالَتْ مِنَ الْبَقَرِ الْوُعُولُ(٤)
فَلَوْلَا كَفُّهُ عَنْكُمْ لَكُنْتُمْ   كَمَنْ غَالَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ غُولُ(٥)
لَأَسْرَتْ حِمْيَرٌ وَبَنُو أَبِيهَا   قُضَاعَةُ وَالْفُرَاتُ لَهُمْ دَلِيلُ

***

وقال سراقة البارقي

أُقَاتِلُ مَهْدِيًّا وَتِلْكَ سَفَاهَةٌ   وَأَمْرٌ بَدَا لِي غَيُّهُ مُتَفَاقِمُ(٦)

= إبراهيم خَلِّ سبيلا . قال : لا أفعل . وكان مع إياس بن مضارب رجل من همدان يقال له أبو قطن ، وكان يُكرمه ، وكان صديقا لابن الأشتر ، فقال له ابن الأشتر : ادنُ منى يا أبا قطن . فدنا منه وهو يظن أن إبراهيم يطلب منه أن يشفع فيه إلى إياس ، فلما دنا منه أخذ رمحا كان معه ، وطعن إياسا فى ثغرة نحره ، فصرعه ، وأمر رجلا من قومه فأخذ رأسه ، وتفرق أصحاب إياس » .

(١) حرورى : خارجى نسبة إلى حروراء التى خرجوا فيها على الإمام على ، فقاتلهم وهزمهم بها .

(٢) هزبر : أسد . وفى ش : « تقول » بدلا من « يقول » .

(٣) خطر الرجل : اهتز فى مشيه وتبختر .

(٤) الضيفان : الضيوف .

(٥) غال : اغتال .

(٦) المهدى : يقصد المختار الثقفى : والغى : الضلال .

فَلَمَّا أَتَتْنَا شِيعَةُ اللهِ تَدَّعِى … لَهَا لَهَبٌ تَبْيَضُّ مِنْهُ المَقَادِمُ[(١)]
فَدَارَتْ رَحَانَا سَاعَةً وَرَحَاهُمُ … وَطَاحَتْ أَكُفٌّ بَيْنَنَا وَجَمَاجِمُ[(٢)]
أُطَفِّرُ حِيطَانَ السَّبِيعِ وَإِنَّنِى … بِأَبْوَابِ حِيطَانِ السَّبِيعِ لَعَالِمُ[(٣)]

***

هذا آخر ما وجدته بخط الحسين بن على النَّمَرِىّ[(٤)] ؛ يقول : هذا آخر ما وجدته بخط السكرىّ ؛ يقول : هذا آخر ما وجدته فى كتاب ابن حبيب ؛ والحمد لله .

ووجدت بخط[(٥)] الشيخ أبى أحمد بعد ذلك :

قابلت بجميع[(٦)] ما مضى ، وأعلمتُ عليه ، وكتبت ما لم يكتب فيه فى الحواشى[(٧)] .

ووجدت بخط ابن الأعرابىّ بعد ذلك :

---

(١) المقادم : النواصى . أى هَوْلها تشيب منه الرءوس .

(٢) طاح : هلك وسقط .

(٣) « أطفر » : كذا فى ش . وأطفر : أثب . وفى ص : « أظفر » .

(٤) ص ، ش : النميرى . وفى نزهة الألبا والفهرست وبغية الوعاة : النمرى .
هـ : « أبو عبد الله الحسين بن على (النمرى) يعرف بابن الأعرج ، له كتاب (اللمع) فى اللغة .

(٥) ش : « بخط » فى موضع « ووجدت بخط » .

(٦) « بجميع » : كذا فى ش . وفى ص : « بجمع » .

(٧) « يكتب فيه فى الحواشى » : كذا فى ش . وفى ص : « يكس » .

وقال سُراقة بارق

أَعَيْنَيَّ جُودَا بالدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ وَكونا كَوَاهِى شَنَّةٍ مع راكب(١)

فَإِنَّ سُرُورَ العَيْشِ قَدْ حِيلَ دُونَهُ وَمَا الشَّرُّ فِى الدُّنيا بِضَرْبَةِ لَازِبِ(٢)

ولِلأَزْدِ فَابْكِى إِذْ أُصِيبَتْ سَرَاتُهُمْ فَقُبْحًا لِعَيْشٍ بَعْدَ ذَلِكَ خَائِبِ(٣)

نُرَجِّى خُلُودًا بَعْدَهُمْ وَتَغُولُنَا غَوائِلُ مَوْتٍ أَوْ قِرَاعُ الْكَتَائِبِ(٤)

وَكُنَّا بِخَيْرٍ قَبْلَ قَتْلِ ابْنِ مِخْنَفٍ وَكُلُّ امْرِىءٍ يَوْمًا لِبَعْضِ الْمَذَاهِبِ(٥)

أَمَارَ دُمُوعَ الشَّيْبِ مِنْ أَهْلِ مِصْرِهِ وَعَجَّلَ فِى الشُّبَّانِ شَيْبَ الذَّوَائِبِ(٦)

وَقَاتَلَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مِيتَةٍ وَخَرَّ عَلَى وَجْهٍ كَرِيمٍ وَحَاجِبِ(٧)

---

(١) « أعينى » : كذا فى ط . وفى ص ، ش : « عينى » فقط . والخرم جائز فى أول بيت من الطويل .

و« كواهى » : كذا فى ط . وفى ص ، ش : « كوهى » . الشنة : القربة الخلق .

و« مع راكب » : كذا فى ط . وفى ص ، ش : « خرز راعب » .

(٢) لازب : لازم .

(٣) و « للأزد » : كذا فى ط . وفى ص ، ش : «وللأسد» . « إذ » : كذا فى ش . وفى ص : « إذا» وهو تحريف . والشطر الأول فى ط : «على الأزد لما أن أصيب سراتهم» . وفى ط : « فنوحا » ، فى موضع « فقبحا » .

(٤) « نرجى » كذا فى ط . وفى ص ، ش : « أرجى » . وفى ط : « الخلود » فى موضع « خلودا » . وفى ط : « وتموقنا عوائق » فى موضع « وتغولنا غوائل » وقراع : مقارعة ومحاربة .

(٥) أى كل امرىء سيموت يوما ميتة ما .

(٦) أمار : أسال . ومعنى البيت أن الخطب كان من الفداحة بحيث جعل الكبار ينسون حلمهم ويبكون ، وشيب رءوس الشبان .

(٧) ط « خد » : فى موضع « وجه » .

عَشِيَّةَ حَالَ الصَّفُّ إِلَّا عِصَابَةً مِنَ الْأَزْدِ تَمْشِي بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ (١)
فَيَا عَيْنُ بَكِّي مِخْنَفًا وَابْنَ مِخْنَفٍ وَفُرْسَانَ قَوْمِي قُصْرَةً وَأَقَارِبِي (٢)
وَبُعْدَ جُبَاةٍ فِي أَرُومَةِ بَارِقٍ وَلَيْسَ الْمَنَايَا مُرْضِيَاتُ الْمُعَاتِبِ (٣)
فُجِعْنَا بِهِ لَا وَانِيًا مُتَوَانِيًا وَلَا عَاجِزًا عِنْدَ الْأُمُورِ النَّوَائِبِ (٤)
وَلَوْ سُئِلَتْ مِنْهُ شَنُوءَةُ فِدْيَةً لَأَعْطَوْا نُفُوسَ الْقَوْمِ بَعْدَ الْحَرَائِبِ (٥)
لِمَنْ لَا يَخَافُ الْقَوْمُ سَقْطَةَ رَأْيِهِ إِذَا زَاغَ أَصْحَابُ الْحُلُومِ الْعَوَازِبِ (٦)
وَسَائِلُهُ مُعْطَى الْجَزِيلِ وَلَمْ تَكُنْ تُهَيِّبُهُ قِدْمًا عِظَامُ الْمَوَاهِبِ (٧)
وَكَانَ هَيُوبًا لِلْفَوَاحِشِ كُلِّهَا وَلَيْسَ لِأَبْطَالِ الرِّجَالِ بِهَائِبِ

---

(١) « عشية حال الصف » : كذا بالحاء فى ص ، وبالجيم فى ش . وفى ط : « وضارب عنه المارقين » . و« الأزد » : كذا فى ط . وفى ص ، ش : « الأسد » و « القواضب » : القاطعة . والمعنى أن الجند هربوا إلا جماعة من الأزد ، سلت السيوف ، وأخذت تحارب بها .

(٢) تقول العرب : هو ابن عمى قَصْرَةً وقُصْرَةً ومَقْصُورَةً وقَصِيرَةً : أى دانى النسب . وفى ه : « قصرى » .

(٣) الجابى : الذى يجمع المال ، أو الذى يجمع الماء فى الحوض للورْد ؛ يريد الأغنياء . و «بارق» : موضعها فراغ فى ص ، ش . واختار الشيخ الشنقيطى هذه الكلمة لمثله .

(٤) « فجعنا » : كذا فى ش . وفى ص : « فمجنا » .

(٥) الحرائب : جمع حريبة ، وهى الشدة .

(٦) العوازب : الشوارد .

(٧) معنى البيت : إنه كريم يجزل العطاء لمن يسأله ، ولا يخاف من عظائم الهبات ، منذ قديم الزمن ، بل يهبها لمن يسأله .

وَلَمْ يَكُ مِمَّنْ يَمْلأُ الرَّوْعُ صَدْرَهُ ... إِذَا رَاغَ أَهْلُ الخِبِّ رَوْغَ الثَّعَالِبِ (١)
وَإِيَاسَ فَابْكِيهِ إِذَا اشْتَجَرَ القَنَا ... لَدَى الرَّوْعِ أَوْ كَلَّتْ رِقَاقُ المَضَارِبِ (٢)
وَحَادَ رِجَالٌ عَنْ رِجَالٍ وَأَبْرَزَتْ ... نَوَاجِذَهَا يَوْمَ الطِّعَانِ مَرَازِبِي (٣)
وَإِنْ ذُكِرَ الحِلْمُ المُزَيَّنُ أَهْلَهُ ... فَمَا الحِلْمُ عَنْهُ يَوْمَ ذَاكَ بِغَائِبِ
وَكَانَ زَعِيمَ القَوْمِ فِيمَا يَنُوبُهُمْ ... إِذَا عَيَّ مَنْ يَعْنُونَهُ بِالمُخَاطِبِ (٤)
وَكَانَ لَهُ فِي ذِرْوَةِ الحَيِّ مَنْصِبٌ ... وَلَيْسَ كَمَنْ عَضَّ الفِرَا بِالمَشَاعِبِ (٥)
وَلاَ خَامِلٍ فِيهِمْ إِذَا مَا نَسَبْتَهُ ... وَلَكِنَّهُ مِنْ بَارِقٍ فِي الذَّوَائِبِ
فَلاَ وَلَدَتْ أُنْثَى وَلاَ آبَ غَائِبٌ ... إِلَى أَهْلِهِ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِآئِبِ

---

(١) الخب، بالكسر: الخداع.

(٢) إياس: كذا وردت الكلمة فى جميع الأصول. ولعلها محرفة عن مرادس، أو شبهها، وهو بطل من أبطال بارق. وفى ش: «فابكه» فى موضع «فابكيه». واشتجر: تشابك وتخالف.

(٣) النواجذ: الأضراس الخلفية، أو أصول الأسنان. والمرازب: جمع مرزبان، وهم رؤساء الفرس. يريد إذا استمر القتال، واشتبكت الرماح، وكلت السيوف، وهرب الرجال من الرجال، وأبدى القواد عن نواجذهم، وعضوا عليها، كى يصبروا ويثبتوا؛ فى ذلك الوقت اذكرى مرداسا وشجاعته فى مثل هذه المواقف.

(٤) «زعيم»: كذا فى ش. وفى ص: «رعيم». وفى ص، ش: «يعبوبه» وهو خطأ. والمعنى أنه إذا حصر رئيس القوم الذى يلجأ إليه فى الكلام، فإنه ينطق عن قومه، ويكون قوله الفصل.

(٥) الفرا: مقصور الفراء، جمع فروة. والمشاعب: الطرق، جمع مشعب.
يقول: إن له أعلى الدرجات فى قبيلته، فلا يشبه العمال أو الصناع الذين يفرون الجلود فى الطرق. وكلنا يعرف أن العرب كانوا يترفعون عن العمل فى الصناعات.

وَغَرْقَدَةَ القَرْمَ الَّذِى بَذ قَوْمَهُ ... غُلَامًا إِلَى أَنْ شَابَ غَيْرَ الأكَاذِبِ (١)
وَأَخْصَبَهُمْ رَحْلاً وَفِى السَّفْرِ عِصْمَةُ ... إِذَا كَانَ زَادُ القَوْمِ مَافِى الْحَقَائِبِ
وَآبَاهُمُ لِلضَّيْمِ حِينَ يُسَامُهُ ... إِذَا قِيدَتِ النَّوْكَى كَقَوْدِ الْجَنَائِبِ (٢)
وَمَا اللَّيْثُ إِذْ يَعْدُو عَلَى أَلْفِ فَارِسٍ ... وَتَحْتَ هَوَادِى خَيْلِهِمْ أَلْفُ نَاشِبِ (٣)
مُوَازٍ وَلاَ عِدْلٌ لِعُرْوَةَ إِذْ غَدَا ... عَلَى صَفِّ صِفِّينَ العَظِيمِ الْمَوَاكِبِ (٤)
وَلاَ جُنْدَبًا إِذْ صَالَ بِالسَّيْفِ صَوْلَةً ... عَلَى سَاحِرٍ فِى حَافَةِ السُّوقِ لَاعِبِ (٥)

---

(١) « غرقدة » : كذا فى ش . وفى ص : « غرقده » . وقد كان غرقدة هذا فى جيش سعد بن أبى وقاص ، وعند ما اضطر سعد إلى خوض دجلة ، لفتح المدائن اقتحمه ، ولم يغرق من الجيش أحد . يقول الطبرى فى حوادث عام ١٦ هـ : « إنهم سلموا من عند آخرهم إلا رجلا من بارق يدعى « غرقدة » ، زال عن ظهر فرس له شقراء ، كأنى أنظر إليها تنفض أعرافها عُريا ، والغريق طافٍ ، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه ، فأخذ بيده ، فجرّه حتى عبر ، فقال البارق ، وكان من أشد الناس : أُعْجِزَ الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع . وكان للقعقاع فيهم خئولة » . والقرم : السيد .

(٢) النوكى : الحمق ، والجنائب : جمع جنيبة ، وهى الدابة ، تقاد بجوار أخرى .

(٣) الليث : الأسد . والهوادى : الأعناق ، والناشب : صاحب النشاب ، أى السهام .

(٤) لعله يقصد عروة بن الجعد البارق الذى نفاه عثمان بن عفان إلى الشام مع جماعة من أصدقائه ، لسبهم سعيد بن العاص والى الكوفة ، فذهبوا إلى معاوية ، ثم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، الذى هددهم وأرغمهم على الاعتذار للخليفة ، وقد كان عروة فى جيش خالد بن الوليد فى العراق عام ١٢ هـ ، وعند ما خرج الإمام على إلى العراق التحقوا به ، وحاربوا فى صفه .

(٥) جندب بن زهير الغامدى ، الذى كان مع عروة بن الجعد فى المنفى . وقصة الساحر رواها الطبرى فى حوادث عام ٣٠ هـ ، قال :

« وأُتِىَ الوليد بساحر ، فأرسل إلى ابن مسعود يسأله حدّه ، فقال : وما يدريك =

وَكَانَ أَخَا لَيْلٍ طَوِيلٍ قِيَامُهُ ... إِذَا النَّوْمُ أَلْهَى حُبُّهُ كُلَّ جَانِبِ (١)

وَقَيْسُ بْنُ عَوْفٍ فَانْدُبِيهِ بِعَبْرَةٍ ... إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ بِالرِّجَالِ عَصَائِبِ (٢)

وَإِنْ ذَهِلَتْ نَفْسِي وَأَذْهَبَ دَاؤُهَا ... فَمَا دَاءُ نَفْسِي مِنْ حَكِيمٍ بِذَاهِبِ

حَمَى صَقْعَبٌ تَحْتَ اللِّوَاءِ ذِمَارَهُ ... بِضَرْبٍ كَأَفْوَاهِ اللِّقَاحِ السَّوَارِبِ (٣)

***

= أنه ساحر ؟ قال : زعم هؤلاء النفر لنفر جاءوا به أنه ساحر ، قال : وما يدريكم أنه ساحر ؟ قالوا : يزعم ذاك ، قال : أساحر أنت ؟ قال : نعم ، قال وتدرى ما السحر ؟ قال : نعم ، وثار إلى حمار ، فجعل يركبه من قِبل ذنَبه ، ويريهم أنه يخرج من فمه واسته ، فقال ابن مسعود : فاقتله ، فانطلق الوليد ، فنادوا فى المسجد : إن رجلا يلعب السحر عند الوليد . فأقبلوا وأقبل جندب ، واغتنمها يقول : أين هو ؟ أين هو ؟ حتى أراه ، فضربه ، فاجتمع عبد الله والوليد على حبسه ، حتى كُتب إلى عثمان ، فأجابهم عثمان أن استحلفوه بالله ماعلم برأيكم فيه ، وإنه لصادق بقوله فيما يظن من تعطيل حدّه ، أو عزّرُوه وخلوا سبيله » . وقد قتل جندب فى موقعة الجمل ، عام ٣٧ هـ ، فقد كان رأس أزد العراق ، فتقدم لمبارزة رأس أزد الشام ، فقتله الشامى .

(١) جانب بصيغة اسم الفاعل : هو المجتنب المحقور . (انظر تاج العروس) .

(٢) لم أستطع معرفته . أما الذى كان فى موقعة صفين فهوقيس بن سعد الأنصارى الأزدى .

« فاندبيه » : كذا فى ش . وفى ص : « فاندبنه » . وعصائب : أى جماعات ، وأصلها : عصائبى ، خُففت بحذف الياء .

(٣) «صقعب» : كذا فى ش . وفى ص : «صعقب» . والأولى أحسن ، لأنه قد يكون علما منقولا من « الصقعب ، أى الطويل » . وفى هـ « صقعب : هوابن مخنف ، أخو عبد الرحمن بن مخنف » . كأفواه : كذا فى الأصول ، ولعله محرف عن أفواق ، وهى جمع فيقة ، بالكسر ، اسم اللبن يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . واللقاح : جمع لقحة أولقوح ، وهى الناقة الحلوب ، الغزيرة اللبن . والسوارب : جمع ساربة ، وهى الجارية ، صفة للأفواق .

كان الحجاج بن يوسُف يقول : مَن أراد أن يَبْصُرَ بالخيل(١) فَلْيَرْوِ قصيدة بارق هذه ؛ قولَ سُراقة :

زَعَمتْ رَبيعةُ وَهْيَ غَيْرُ مَلُومَةٍ ... أَنّى كَبِرْتُ وَأَنَّ رَأْسِي أَشْيَبُ

وَرأَتْ عذارَى أَدْرَكتْ فِي بَارِقٍ ... فتخافُ مِنْ هوْلِ الجنانِ وَتَرْهَبُ(٢)

وَيَشُفُّها أَنْ لا تَزالُ يَرُوعُها ... بِكْرٌ تُعرِّضُ نفسَها أَوْ ثَيِّبُ(٣)

وَكأَنَّهُنَّ إذا خرجْنَ لِزِينةٍ ... وَبرَزْنَ مِنْ غَمِّ الْحَوائطِ رَبْرَبُ(٤)

مِنْ كُلِّ غرَّاء الجَبِينِ كأَنَّها ... رَشَأٌ أَحمُّ الْمُقْلَتَيْنِ مُرَبَّبُ(٥)

تُجْرِي السِّوَاكَ على نَقِيٍّ لَوْنُهُ ... مِثْلُ الْمُدامَةِ رِيحُهُ أَوْ أَطْيَبُ(٦)

وَتقُولُ قدْ أهْلكْتَ مالَكَ كُلَّهُ ... فَلَبِئْسَما تَشرِى الْإِماءَ وَتَخْطِبُ(٧)

لم تَدْرِ فيما قد مضَى من عُمْرِها ... أَنَّ الجوادَ يَصِيد وهو مُثَلَّبُ

وَالْمَرْءُ بَعْدَ الشَّيْبِ يَغْشَى رَأْسَهُ ... يَلْهُو إلى غَزَلِ الشَّبابِ وَيَطْرَبُ

---

(١) فى ص ، ش : « يبصر الخيل » ؛ وأظنها خطأ .

(٢) « عذارى » : كذا فى ه . وفى ص : « غذارا » وفى ش : « عذارا » . والمعنى أنها إذا رأت العذارى تكبر تخاف أن أتزوجهن ، فينجبن الأولاد الشجعان الذين يحاربونها .

(٣) يشفها : يهزلها . والمعنى أنه قد أضناها خوفها الدائم من اللائى يعرضن أنفسهن علىَّ من الأبكار والثيبات للزواج .

(٤) الغم : هنا بمعنى الظل . والحوائط : البساتين . والربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٥) الرشأ : ولد الظبية . وأحم : أسود . ومربَّب : مُرَبًّى ومُنَشًّا .

(٦) المدامة : الخمر .

(٧) كذا فى ش . وفى ص : « يشرى الإماء ويخطب » ، بالياء .

وَالخيْلَ تعْذُلُنِى على إمْسا كِهَا — وَتقُولُ قدْ أهْلكتَ مَالا يُحْسبُ
فحلفْتُ لاَ تنْفكُ عِنْدِى شطْبَة — جرْداءُ أوْ سَبْطُ الْمَشدَّةِ سَلْهبُ(١)
سَهْبُ الجِرَاءِ إذَا عَوَيْتُ عِنانَهُ — سُحُقٌ إذَا هُضِمَ الرَّعِيلُ الْمُطْنِبُ(٢)
أمّا إذَا اسْتَقْبلْتهُ فيقُودُهُ — جِذْعٌ علاَ فَوْقَ النَّخِيلِ مُشذَّبُ
وَمُعرَّقُ الخدَّيْنِ رُكِّبَ فوْقهُ — خُصَلٌ وَسامِعَةٌ تظَلُّ تقلَّبُ(٣)
وَترَى اللِّجامَ يَضِلُّ فِى أشْداقِهِ — حتَّى يكَادَ الْفَأْسُ فِيهِ يَذْهَبُ(٤)
وَترَى مكانَ الرَّبْوِ مِنْهُ وَاسِعًا — مُتنفسٌ رَحْبٌ وَجَنْبٌ حَوْشَبُ(٥)
وَلَهُ جِرَانٌ كالْقمِيصِ يَزِينُهُ — رَهَلٌ بِهِ أثرُ الْجِلاَلِ وَمَنْكِبُ(٦)

---

(١) الشطبة : الفرس السبطة اللحم . وجرداء : قليلة الشعر . والسبط : الطويل المسترسل . والمشدة : يقصد بها العنق ، وقد تكون العرف . والسلهب : الطويل والعظيم الجسم .

(٢) فى هـ : «سهب : واسع» . الجراء : العدو . وعوى العنان : عطفه . وسحق : طويل عظيم . والرعيل : الجماعة من الخيل . ومعنى البيت أنه إذا هزلت الخيل وبدا ضمورها، فإنه يظهر من بينها لعظم هيكله وطوله .

(٣) معرق : هزيل تظهر عروقه . والخصل من الشعر أى من عرفه . والسامعة : الأذن .

(٤) الأشداق : جمع شدق ، وهو مشق فم الفرس إلى منتهى حد اللجام . والفأس: الحديدة القائمة فى الحنك من اللجام .

(٥) الربو : النفس العالى . والمتنفس : الأنف والحوشب : العظيم ، الكبير .

(٦) الجران : المرىء والحلقوم ، أى واسع المرىء . والرهل : استرخاء اللحم . والجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالثوب للإنسان .

وَكَأَنَّ فَارِسَهُ عَلَى زُحْلُوفَةٍ   جَرْدَاءَ لِلْوِلْدَانِ فِيهَا مَلْعَبُ(١)
أَمَّا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ فَتَسُـــوقُهُ   رِجْلٌ يُقَمِّصُهَا وَظِيفٌ أَحْدَبُ(٢)
زَجَّاءُ عَارِيَةٌ كَأَنَّ حَمَاتَهَا   لَمَّا سَرَوْتَ الْجُلَّ عَنْهَا أَرْنَبُ(٣)
وَإِذَا تَصَفَّحَهُ الْفَوَارِسُ مُعْرِضًا   فَيُقَالُ سِرْحَانُ الْغَضَى الْمُتَذَئِّبُ(٤)
وَإِذَا يُقَادُ عَلَى الْجَنِيبَةِ بَـلَّهُ   حَتَّى يَحُمَّ مِنَ الْعِنَانِ الْمُجْنَبُ(٥)
وَتَرَى الْحَصَى يَشْقَى إِذَا مَا قُدْتَهُ   مِنْهُ بِجَنْدَلِ لَابَةٍ لَا يُقْلَبُ(٦)
صُمٌّ حَوَامِيهَا كَأَنَّ نُسُورَهَا   مِنْ نِقْسِ مِصْرٍ عَنْ أَمِيرٍ يُحْجَبُ(٧)

---

(١) الزحلوفة : المكان المنحدر الأملس .

(٢) الوظيف : مابين الركبة إلى الرسغ ؛ يقول، : إذا نظرت إليه من خلف رأيت رجله التي تدفعه إلى الأمام ذات وظيف أحدب ، يخالف لون سائر جسده ، فكأن الفرس لابس قيصا إلى وظيفه .

(٣) الزجاء : الرفيعة . وحماة الساق : عضلتها .سروت الجل : ألقيته عنها .

(٤) معرضا : أى تصفحه الفرسان مائلا منعطفا. والسرحان : الذئب . والغضى : نوع من الشجر يوجدفيه الذئب . والمتذئب : الشبيه بالذئب : فى سهولة انعطافه والتوائه .

(٥) الجنيبة : الدابة تقاد إلى جانب أخرى . ويحم : فى الأصول يجم ، تحريف . والمعنى : يغسل بالحميم ، وهو هنا العرق الساخن . والعنان : لجام الفرس ، ويحتمل أن يكون معناه الشوط ، أو الجهد . والمجنب : المقود .

(٦) الجندل : الحجارة . واللابة : الحرة الملبسة حجارة سودا .

(٧) حوافر الفرس شديدة صلبة ولحمها أسود شديد السواد ، كأنها مداد أمير من أمراء الأمصار ذوى الحجاب الذين يمنعون عنهم الناس ، يريد مداد أمير مرفه .

والحوامى : ميامن الحافر ومياسره ، ونسر الحافر : لحمه . وفى ش : « أسير » بدلا من « أمير » ، وهو تصحيف .

وَكَأَنَّمَا يَسْتَنُّ فَوْقَ مُتُونِهَا ... بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالْأَشَاعِرِ طُحْلُبُ (١)
أَخْلَصْتُهُ حَوْلًا أُمَسِّحُ وَجْهَهُ ... وَأَخُو المَوَاطِنِ مَنْ يَصُونُ وَيَنْدُبُ
وَجَعَلْتُهُ دُونَ العِيَالِ شِتَاءَهُ ... حَتَّى انْجَلَى وَهُوَ الدَّخِيلُ المُقْرَبُ (٢)
وَالْقَيْظَ حِينَ أَصُونُهُ فِى ظُلَّةٍ ... وَحْشِيُّهَا قَبْلَ الْغُرُوبِ مُثَقَّبُ (٣)
وَلَهُ ثَلَاثُ لَقَائِحٍ فِى يَوْمِهِ ... وَنَخِيرُهُ مَعَ لَيْلِهِ مُتَأَوِّبُ (٤)
حَتَّى إِذَا أَثْنَى وَصَارَ كَأَنَّهُ ... وَحَدٌ بِرَابِيَةٍ مُدِلٌّ أَحْقَبُ (٥)

---

(١) استن : جرى . والسنابك : جمع سنبك ، وهو مقدم الحافر ، والأشاعر : ما حول الحافر من الشعر ، يريد أن الشعر انتشر حول حوافره ، فأشبه الطحلب .

(٢) وقد جعلت الفرس أقرب إلى من عيالى فى الشتاء كى أدفئه ، حتى ذهب الشتاء ، وكان الفرس قريبا مكانه من مكانى

(٣) الظلة : المكان المظلل ، والوحشى : الجزء الذى يسلمك إلى الخارج . ومثقب : مضاء . يريد أن يقول : إنى أحفظه صيفاً فى مكان مظلل عناية به ، وقبيل أن يرخى الليل سدوله أنير ما حول الظلة ، حتى يرى اللصوص الضوء ، فيظنون بى السهر والتيقظ ، فلا يحاولون سرقته ، ومكان « الغروب » بياض فى الأصلين ، فاختار له الشنقيطى هذه الكلمة .

(٤) اللقائح : جمع لقوح ، وهى بمعنى لقحة ، واللقوح : صفة للناقة الحلوب الغزيرة اللبن ، ومعنى البيت : أن هذا الفرس كريم على ، وأنا أطعمه لبن ثلاث لقائح ، وهو ينام نوما متصلا بالليل لا يزعجه شىء ، فنفسه متردد متصل طول الليل . وفى ص « نفيره » ، وفى ش : « فقيره » بدلا من « نخيره » ، وهو تصحيف .

(٥) أثنى : أسقط رواضعه وذلك إذا استتم الثالثة ودخل فى الرابعة . والوحد : المنفرد ، والمدل : الجرىء . والأحقب : حمار الوحش ، سمى بذلك لبياض فى حقويه .

راهنتُ قومى والرِّهانُ لَجاجةٌ ... أَحمى لِمُهرى أن يُسبَّ وأرغبُ
فى سبْقةٍ جادُوا بها أو دَعوةٍ ... يومَ الرِّهانِ وكلُّ ذلكَ أطلبُ
فنقلتُهُ نقلَ البَصيرِ ولم أكُنْ ... مِمَّن يُخادِعُ نفسَهُ ويُكذِّبُ(١)
أُلقى عليهِ القرَّتينِ جِـــلالَهُ ... فيَفيضُ منه كلُّ قرنٍ يَسكُبُ(٢)
وأرُدُّ فيهِ الماءَ بعْـــدَ ذُبولِهِ ... حتَّى يعودَ كأنَّهُ مُستصعَبُ(٣)
قردُ الخَصيلِ وفى العِظامِ بقيَّةٌ ... مِنْ صَنعةٍ قدَّمتُها لا تذهبُ(٤)
وتوافقُوا بالخيلِ وهىَ شوازِبٌ ... وبلاؤُهُنَّ عليهِمُ مُتغيِّبُ(٥)
بِتْنا بِرأسِ الخطِّ نَقسِمُ أمرَنا ... لِئلَّا يَجولُ بنا المِراءُ ويَهضِبُ(٦)
حتَّى إذا طَمسَ النُّجومَ وغمَّها ... وَرْدٌ يُغيِّبُ لونَها مُتجوِّبُ(٧)
صاحُوا بها لِيَخفَّ حشْوُ بُطونِها ... وقُلوبُهُم مِنْ هولِ ذلكَ تَضرِبُ

---

(١) « نفسه » : كذا فى هـ . وفى ص ، ش : « نفعه » .

(٢) « منه » : كذا فى ش . وفى ص : « من » . والقرتان : البردان ، أى الغداة والعشى . والمعنى أنه يلبسه الجلال وقت البرد ليدفئه ، فيظهر منهما قرناه ، يسيل عليهما العرق ، لسخونة جسمه .

(٣) عنـد مايذبل من كثرة العرق ويفتر : أغسله بالمـاء ، فينتعش ويسترد قوته ونشاطه .

(٤) « قرد الخصيل » : كذا فى أساس البلاغة . وفى ص ، ش : فبدا الحصير ، وقرد الخصيل ، أى ذو ذنب متلبد الشعر . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه بالتغذية والتربية .

(٥) « شوازب » : كذا فى ش ، وفى ص : « سوازب » ؛ والشوازب : الضامرة .

(٦) المراء : النقاش والجدل . ويهضب : يشتد ويسرع .

(٧) متجوب : منتشر . والورد : الأحمر ، يقصد به الفجر .

وسَرَوْا أَجِلَّتَها وسُرِّىَ صِفُّها — وكأنَّما يَجْرِى عَلَيْها المُذْهَبُ (١)

وجَرَتْ له طَيْرُ الأيامِنِ غُدْوَةً — ولهُنَّ طَيْرٌ بالأشائِمِ تَنْعَبُ (٢)

صَاحَ ابْنُ آوَى عَنْ شِمالِ خُدُودِها — وجَرَى لَهُ قِبَلَ اليمينِ الثَّعْلَبُ

عَجَّلْتُ دَفْعَتَها وقُلْتُ لِفارِسى — رَاكِضْ به إنَّ الجَوادَ المُسْهَبُ

وأَبَى عَلَىَّ وقدْ جرَى نِصفَ المَدَى — والخَيْلُ تأْخُذُها السِّياطُ وتُكْلَبُ (٣)

وغُلامُهُ مُتَقَبِّضٌ فى مَتْنِهِ — عكانِهِ مِنْهُنَّ رَأْىٌ مُعْجِبُ (٤)

حَتَّى أَتَى الصَّفَّيْنِ وهُوَ مُبَرِّزٌ — بِمَكانِهِ رَأْىُ البَصِيرِ مُغَرِّبُ (٥)

اِسْتَأْنَسَ الشَّرَفَ البَعِيدَ بِطَرْفِهِ — وكأنَّهُ سِرْحانُ بِيدٍ يَلْحَبُ (٦)

ولِكُلِّهِنَّ عِصابَةٌ مِنْ قَوْمِهِ — ولَهُ مِن ابناءِ القَبائلِ مَوْكِبُ

يَغْشَوْنَهُ، ويَقُولُ هذا سابِقٌ — مُتَفَرِّسٌ فى الخَلْقِ أَوْ مُتَعَجِّبُ

---

(١) كأن الخيل والشفق منعكس على ظهورها مذهبة .

(٢) نعب : صاح . يريد أن يقول : إن فأل فرسه كان حسنا ، وفأل الأفراس الأخرى كان سيئا ، وهذا هو المراد من البيت التالى أيضا .

(٣) كلب الحصان : ضربه بالكلاب ، أى المهماز .

(٤) الرأى هنا بمعنى النظر ، أى كان النظارة معجبين بفرسه ، وهذا الإعجاب ظاهر فى أعينهم .

(٥) مغرب : متباعد ، أى إن فرسه كانت فى المقدمة ، ولذلك كان المتفرج يحتاج إلى مد بصره حتى يراها .

(٦) الطرف : العين . والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء . ويلحب . يسرع .

وأَذُبُّ عَنْهُ الْمُرْقِصِينَ وَرَاءَهُ   حَذَرَ الفَوَارِسِ وَهُوَ رِيحٌ يُجْنَبُ(١)
هَـذَا لِتَعْلَمَ بَارِقٌ أَنِّي امْرُؤٌ   لِي فِي السَّوَابِقِ نَظْرَةٌ لاتَـكْذِبُ
وَتَبَيَّنَ الأَقْيَالُ مَا أَحْـلامُهُمْ   وَالحِلْمُ أَرْدَؤُهُ المُسَامُ المُعْزَبُ(٢)
وَالنَاسُ مِنْهُمْ مَنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ   وَمُعَذَّبٌ يَشْقَى بِهِ وَيُعَذِّبُ
فَدَعِ الْمِرَاءَ وَوَافِ يَوْمَ رِهَانِنَا   بِطِمِرَّةٍ أَوْ ضَامِرٍ لاَ يَتْعَبُ(٣)

***

وقال سُراقة :

أَبَتْ عَيْنُ ابْنِ عَمِّكَ أَنْ تَنَامَا   بِجَنْبِ الطَّفِّ وَاخْتَمَّ احْتِمَامَا(٤)
وَقَالَتْ عِرْسُهُ مَاذَا بِعِشْقٍ   ولَـكِنْ نَظْرَةٌ كَانَتْ غَرَامَا(٥)
صَرَفْتُ الْوَجْهَ عَنْ نَظَرٍ إِلَيْهَا   وَأَلْقَتْ دُونَ سُنَّتِهَا قِرَامَا(٦)
كِلَانَا خَائِفٌ يَخْشَى أَبَاهَـــا   وَطَعْنًا مِنْ عَشِيرَتِهَا وَذَامَا(٧)

---

(١) أذب : أدفع ، والرقص : نوع من سير الخيل ، والمرقصون : الفرسان الذين يركبون الخيل الراقصة . وفى ص ، ش : « راح » فى موضع « ريح » ، وهى غير واضحة المعنى .

(٢) « الأقيال » : كذا فى ش ، وفى ص : « الأقتال » . والقيل : ملك اليمن . والمسام : الشارد المتروك .

(٣) الطمرة : الفرس الجواد ، وقيل المستعد للوثوب . و « لا يتعب » : كذا فى ش . وفى ص : « لم يتعب » .

(٤) الطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

(٥) العرس : العروس .

(٦) « عن » : كذا فى ش . وفى ص : « من » . والسنة : الصورة والوجه . والقرام : الستر فيه رقم ونقوش .

(٧) الذام : العيب .

بَصُرْتُ بِهَا تُكَلِّمُ جَارَتَيْهَا   فَلَا دَلًّا عَتَبْتُ وَلَا قَوَامَا[١]
رَأَيْتُ غَمَامَةً فِى مُسْتَكِفٍّ   عَلَتْ فِى عَارِضٍ كَسِفٍ جَهَامَا[٢]
يُضِىءُ دُجَى الظَّلَامِ بَرِيقُ فِيهَا   وَتُبْصِرُ حِينَ تَبْتَسِمُ ابْتِسَامَا
أَقَاحِىَ قَدْ تَصَبَّبَ مِنْ نَدَاهُ   كَأَنَّ أُصُولَهُ عُلَّتْ مُدَامَا[٣]
كُمَيْتَ اللَّوْنِ عَتَّقَهَا عَظِيمٌ   فَلَمْ يَقْرَبْ لَهَا حِجَجًا خِتَامَا[٤]
تَنَاسَاهَا على طَرَبٍ إِلَيْهَا   إِذَا ذَكَرَ الْمَشَارِبَ وَالنَّدَامَى
تُدِلُّ بِحُسْنِهَا وَسْطَ الْعَذَارَى   وَتَسْتَغْنِى فَمَا تَبْغِى لِثَامَا[٥]
وَأَرْدَافٌ تَنُوءُ بِهَا وَخَصْرٌ   كَطَىِّ السِّبِّ يَنْهَضِمُ انْهِضَامَا[٦]
بِهَا يَلْهُو الضَّجِيعُ إِذَا تَعَالَى ،   وَغَارَ النَّجْمُ ، فَاقْتَحَمَ اقْتِحَامَا[٧]
وَأَعْيَبُ شَأْنِهَا أَنْ هَيُوبٌ   إِذَا مَا جِئْتُ أَكْتُمُ اكْتِتَامَا[٨]

---

(١) عتب : سخط .

(٢) المستكف : السحاب المحيط بالغمامة أو المستدير . والعارض : السحاب المعترض فى السماء . والكسف : المنقطع ، ويقال العريض .

(٣) الجهام : السحاب الذى لا ماء فيه . والأقاحى : جمع أقحوان : وهو نبت طيب الريح ، حواليه ورق أبيض ، ووسطه أصفر . وعُلّ : سقى . والمدام : الخمر ، أى كأن أصول أسنانها أسقيت خمرا .

(٤) الكمتة : لون بين السواد والحمرة . والحجج : جمع حجة ، أى سنة .

(٥) ش : « تبق » موضع « تبغى » ، وهو تحريف . واللثام : النقاب .

(٦) السب : الشقة الرقيقة من الكتان أو القطن .

(٧) تعالى : أى ارتفع ونهض إليها ، كما قال امرؤ القيس : « سموت إليها » . وقد يكون بمعنى تعلّى : أى هجم على القوم بدون إذن ، ويرشحه قوله بعده : « فاقتحم اقتحاما » .

(٨) « شأنها » كذا فى ش . وفى ص « شافها » ، وهو تصحيف .

وَأَنَّ الرأسَ شَيَّبَهُ اطِّلَاعِى ... بِلَادَ الحَـرْبِ مُلْبِسَةً قَتَامَا(١)

أُعَالِجُ صَعْدَةً وَأَقُودُ نَهْدًا ... طَوِيلَ المَتْنِ يَسْتَوْفِى الحِزَامَا(٢)

وَمَنْ يَلْقَ الفَوَارِسَ كُلَّ يَوْمٍ ... أَطَاعِنْ أَوْ أُلَازِمْهُمْ لِزَامَا(٣)

وَكُنْتُ إِذَا الهُمُومُ تَكَنَّفَتْنِى ... لِتُسْهِرَنِى جَعَلْتُ لَهَا نِظَامَا(٤)

وَلَسْتُ بِمُحْرِزٍ مَالِى بِنَذْرٍ ... وَلَوْ لَمْ يُبْقِ لِى أَبَدًا سَوَامَا(٥)

وَلَسْتُ أُرَشِّحُ الأَطْفَالَ مِنْهَا ... لِيُـدْرِكَ نَسْلُهَا عَامًا فَعَامَا(٦)

وَلَكِنِّى أَقُولُ لِحَـالِبِيهَا ... أَشِيعَا أَنَّ فِى مَالِى ذِمَامَا(٧)

وَأُقْرِضُهَا ابْنَ عَمِّى إِنْ أَتَانِى ... وَأَقْرِى الضَّيْفَ أَعْظَمَهَا سَنَامَا

وَخَلْفٍ خَالِفٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ ... يُذَكِّرُنِى حَيَاةً أَوْ حُلَامَا(٨)

وَإِخْوَانٍ فُجِعْتُ بِهِمْ فَأُضْحِى ... كَمَجْرُوحٍ بِهِ يَشْكُو كِلَامَا

وَقَدْ أَحْمِى الحَقِيقَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... وَتَحْمِى الأَزْدُ أَنْفِى أَنْ أُرَامَا(٩)

---

(١) القتام : غبار الحرب .

(٢) الصعدة : القناة المستوية . ويستوفى الحزام : أى غليظ ممتلىء ، فيملأ حزامه .

(٣) يقول : من كان يلقى الأبطال كل يوم مرة ، فإنى ملازم للطعن والضرب لا أبرح مكانى .

(٤) كذا فى الأصل ، والنظام : ملاك الأمر ، يريد لا أجعل الهموم تستبدبى ، بل أملكها . وقد تكون الرواية فى الأصل : « كظاما » ، وهو سداد الشىء .

(٥) السوام : الإبل التى تترك لترعى .

(٦) أرشح : أربى ، أى إنى لست بخيلا أربى أطفالهـا ، بل أذبحها للضيوف .

(٧) الذمام : الحق ، أى أذيعوا أن للضيف حقا فى إبلى .

(٨) « حياة » : كذا فى ش . وفى ص « حباة » بالباء .

ومعنى البيت أنى أعيش فى زمن سقيم شرير يجعلنى أذكر الأيام الماضية الجميلة ،أوأحلم بها .

(٩) ص ، ش : « الأسد » فى موضع « الأزد » .

أُنَاسٌ يَأْمَنُ الْجِيرَانُ فِيهِمْ ... كَمَكَّةَ مَا تَمَسُّ بِهَا الْحَمَامَا
وَمَذْحِجُ(١) إِذْ تَقَرَّبُهُمْ جَمِيعًا ... رَأَيْتَ قُرُومَ مَذْحِجِنَا عِظَامَا
وَفِي هَمْدَانَ(١) ضَرْبٌ حِينَ تَلْقَى ... يُطِيرُ مَعَاصِمًا وَيُبِينُ هَامَا(٢)
وَإِنْ أَهْتِفْ بِكِنْدَةَ(١) يَأْتِ صَفٌّ ... تُطِلُّ رِمَاحُهُمْ مَلِكًا هُمَامَا(٣)
وَمَالِي دُونَ خَثْعَمَ(١) مِنْ صَدِيقٍ ... إِذَا الْفَتَيَاتُ أَخْرَجْنَ الْخِدَامَا(٤)
وَإِنْ تَحْضُرْ بَجِيلَةُ(١) يَوْمَ بَأْسٍ ... تُكَشِّفْ عَنْ مَنَاكِبِيَ الزِّحَامَا
وَدَاعِي الْأَشْعَرِينَ(١) إِذَا دَعَاهُمْ ... مَنَعْنَاهُ الْجَوَامِعَ أَنْ يُضَامَا(٥)
وَحِمْيَرُ(١) حِينَ يَبْدَؤُهَا كَرِيبٌ ... تَكَادُ أُنُوفُهَا تَجْلُو الْغَمَامَا(٦)
وَغَسَّانُ(١) الَّتِي مَلَكَتْ مَعَدًّا ... شَآمِيهَا وَمَنْ يَرْعَى الْبَشَامَا(٧)

---

(١) قبائل يمنية .

(٢) « يبين » : كذا في ش . وفي ص « يبير » : والهام : جمع هامة ، وهي الرأس . والمعنى أن همدان ذات صبر وشدة في القتال تطير فيه الأيدي وتقطع الرءوس .

(٣) « تطل » : كذا في ش . ومعناه : تقتل وفي ص « تظل » .

(٤) ش : « أخرجنا » في موضع « أخرجن » ، وهو خطأ ظاهر .

والخدام : السيقان ، أو الخلاخيل . وكشف النساء عن سيقانهن : كناية عن الشدة في الحرب .

(٥) معنى البيت : أننا نمنع داعي قبيلة الأشعريين من الضيم في الأمور التي يجتمع لها الناس ، وهي الحروب .

(٦) « كريب » : كذا في ش . وجاءت في ص « كرب » بدون إعجام . ومعنى يبدؤها : يفجؤها . والكريب : المكروب .

(٧) « غسان » : كذا في ش . وفي ص : « حسان » ، وغسان : قبيلة يمنية ، سكنت الشام ، وصارت لها مملكة فيها . و « معدا » : كذا في ش . وفي ص « معد » . والبشام : شجر طيب الريح ، يستاك به .

وَلاَ تَتْرُكْ قُضَاعَةَ(١) إِنَّ فِيهَا ... لَنَا الْحَسَبَ الْمُقَدَّمَ وَالتَّمَامَا

وَلاَقِ بِحَضْرَمَوْتَ غَدَاةَ عِزٍّ ... خِيَارَ أُنَاسِ مَحْضَرَةٍ(٢) غِشَامَا(١)

جُذَامٌ(١) لَيْسَ مُحْصِيهَا قَبِيلٌ ... إِذَا دَاعِي الصَّبَاحِ دَعَا جُذَامَا(٣)

وَعَامِلَةُ الْحُمَاةُ(١) وَمَنْ يَرَاهُمْ ... يَرَى الْجُرْدَ السَّوَاهِمَ وَالْهِجَامَا(٤)

وَلَوْ أَصْبَحْتَ فِي حَكَمٍ(١) مُقِيمًا ... وَخَفَّ الزَّحْفُ لَمْ أَرْهَبْ أَثَامَا

وَخَوْلاَنُ(١) الَّتِي لَمْ تُعْطِ إِلاَّ ... نَبِيَّ اللهِ إِذْ صَلَّى وَصَامَا

وَحَا(١) لَوْ رَأَيْتَهُمُ جَمِيعًا ... حَسِبْتَ الْغَابَ فَوْقَهُمُ إِجَامَا(٥)

فَمَدًّا مِثْلَ ذَا يَا بَنِيْ نِزَارٍ ... وَذَاكَ عَلَيْكُمَا أَمْسَى حَرَامَا

وَلَنْ تَجِدَا مُلُوكًا فِي نِزَارٍ ... وَآبَاءً كَآبَائِي كِرَامَا

وَلَوْ سُئِلَتْ بِلاَدُ الْحَرْبِ عَنَّا ... وَعَنْكُمْ إِذْ تَصَادَمْنَا صِدَامَا(٦)

عَلِمْتُمْ أَنَّ كَيْدَكُمُ ضَعِيفٌ ... وَوَلَّى الْجَمْعُ فَانْهَزَمَ انْهِزَامَا

---

(١) قبيلة يمنية . والتمام : العدد والكثرة .

(٢) محضرة : ماء لبنى عجل بين طريق الكوفة والبصرة إلى مكة ، أى إن غشام خير الناس غداة طلب العز فى ذلك المكان .

(٣) محصيها : أى محيط بها . ويريد بداعى الصباح : داعى الحرب ، لأنهم كانوا يغيرون صبحا ، ولعلها الصياح بالياء ، أى تصايح الفرسان فى الحرب للقتال ، فيكون داعى الصياح ، وهو داعى الحرب أيضا .

(٤) الجرد : الخيل القليلة الشعر . و «السواهم» : كذا فى ش . وفى ص « ... اهم » ، الواضح منها الجزء الأخير فقط ، والسواهم : الضامرة . والهجام : جمع هجمة ؛ وهى مادون المئة .

(٥) الغاب : جمع غابة . والإجام : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف .

(٦) « بلاد » : كذا فى ص . وفى ش « بلاء » . وقد جاء هذا البيت فى الأصول متأخراً عن الذى بعده ، ومحله هنا ، لأن الذى بعده جواب للشرط الذى فيه .

كَمَا كَانَتْ جُمُوعُكُمُ تَوَلَّى إِذَا مَا أَبْصَرَتْ لَجِبًا لُهَامَا[١]
تَظَلُّ جِيَادُنَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَفِعْلِ الطَّيْرِ تَخْتَطِفُ اللِّحَامَا[٢]
تَرَى الْجُرْدَ السَّوَاهِمَ حِينَ تُمْطَى سِجَالَ الْمَاءِ تَقْتَحِمُ اقْتِحَامَا[٣]
وَكُلَّ مُطَارَةٍ خَفِقٍ حَشَاهَا أَسَرَّتْ فِي غَزَاتِهِمِ وِحَامَا[٤]
وَشَاعِرِ مَعْشَرٍ فِيـــهِ طِمَاحٌ عَنِ الشُّعَرَاءِ كُنْتُ لَهُ زِمَامَا[٥]
يُخَاطِرُ عَنْ عَشِيرَتِهِ خِطَارًا وَيَكْسُو قَوْمَهُ حُلَلًا لِئَامَا[٦]
جَنَى حَرْبًا عَلَيْهِ ذَاتَ ضُرٍّ وَتَلْقَحُ ثُمَّ يَنْتِجُهَا تَمَامَا[٧]
تَلَمَّسَ حُظْوَةً فَأَصَابَ ذَمًّا وَعَرَّدَ وَهِيَ تَضْطَرِمُ اضْطِرَامَا[٨]
تَرَكْتُ لِقَوْمِهِ عَيْبًا مُبِينًا يَكُونُ عَلَى أُنُوفِهِمِ خِطَامَا
وَقَالَ أُنَاسُهُ لَمْ يُغْنِ شَيْئًا عَلَامَ قَذَفْتَ أَنْفُسَنَا عَلَامَا؟!

---

(١) تولى : هرب . والجيش اللجب : ذو الجلبة والكثرة . واللهام : الجيش العظيم ، كأنه يلتهم كل شيء .

(٢) اللحام : جمع اللحم .

(٣) السجال : جمع سجل ، وهى الدلو بها الماء .

(٤) المطارة : المفزوعة . وأسرت : كتمت ، ويكون أيضا أعلنت . والغزاة : الغزوة والوحام : شهوة الحبلى خاصة .

(٥) الطماح : الكبر والفخر . والزمام : الخطام .

(٦) يخاطر : يعرض نفسه للهلاك دفاعا عن عشيرته .

(٧) تلقح : تحمل . « ثم ينتجها » كذا فى ص . وفى ش : « قبل منتجها » .

(٨) عرد : هرب . وتضطرم : تلتهب .

تُعَرِّضُ بِامْرِئٍ فِيهِ أَنَاةٌ قَدِيمِ العِيصِ يَنْتَقِمُ انْتِقَامَا[1]
فَمَاذَا يَبْتَغِي الشُّعَرَاءُ مِنِّي وَقَدْ قَسَّمْتُ بَيْنَهُمُ قِسَامَا
قَضَيْتُ قَضِيَّةً فِيهِمْ فَجَازَتْ بِهَا يُقْضَى إِذَا احْتَكَمُوا احْتِكَامَا

انتهى الموجود من شعر سراقة بن مرداس البارقي الأصغر

(١) العيص الأصل : يريد أنه ذو نسب قديم عريق .

زيادات على الديوان

هذه زيادات من أخبار سراقة وأشعاره ، عثرت عليها فى بعض كتب الأدب والتاريخ . وأنا أوردها هنا إتماما للديوان :

١ — فى الأغانى ج ٩ ص ١١ طبعة دار الكتب المصرية القصة التالية :

أخبرنى أحمد بن عبدالعزيز الجوهرى ، قال : حدثنا عمر بن شبَّة ولم يتجاوزه ، وأخبرنى الحِرْمىُّ ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنا عبدالرحمن بن الخضر الخزاعى ، عن ولد جُمْعة بنت كُثيّر : أنه وجد فى كتب أبيه التى فيها شعر كثيّر ، أن عبدالملك بن مروان قال : ويحك ! الْحَق بقومك من خُزاعة . فأخبر أنه من كنانة قريش ، وأنشد كُثيّر قوله :

أليس أبى بالصَّلْتِ أم ليس إخوتى ... بكل هِجانٍ من بنى النَّضر أزهَرا

فإن لم تكونوا من بنى النَّضْرِ فاتركوا ... أراكاً بأذناب القوابل أخضرا

أُبَيْتُ التى قد سُمْتَنِى وَنَكِرْتَها ... ولو سُمْتَهَا قبلى قبيصةَ أنكرا[1]

لبسنا ثيابَ العَصْبِ فاختلط السَّدَى ... بنا وبهم والحَضْرَمِىُّ المُخَصَّرا

فقال له عبدالملك : لابد أن تُنْشِدَ هذا الشعر على مِنْبَرَيِ الكوفة والبصرة . وحمله وكتب إلى العراق فى أمره . قال عمر فى خبره خاصة : فأجابته خزاعة الحجاز إلى ذلك . وقال فيه الأحوص — ويقال : بل قال سراقة البارقى :

---

(١) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعى الكعبى ، أبو سعيد وأبو إسحاق . وُلد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وتوفى سنة ٨٦ هـ .

لَعَمْرِى لقد جاء العـراقَ كُثَيِّرٌ ... بأحدوثةٍ من وَحْيِهِ المتـكَذِّبِ
أيزعمُ أنّى من كِنانةَ أوّلى ... ومالِىَ من أمٍّ هنـاك ولا أبِ
فإنْ كنتَ حُرًّا أو تخافُ مَعَرَّةً ... فَخُذْ ما أخذتَ من أميرِك واذهبِ

فقال كثير يجيبه — وفى خبر الزبير : قال هذا — لأبى عَلْقَمَةَ الخزاعى : — وفى رواية الزُّبير . « أبا عَلْقَم » :

بنو النَّضْرِ تَرْمِى من ورائك بالحصى ... أو لو حَسَبٍ فيهم وفاءٌ ومَصْدَق
يُفيدونكَ المالَ الـكثيرَ ولم تجدْ ... لِمُلْـكِهِم شِبْهًا لوَ انَّك تصدُق
إذا ركبوا ثارتْ عليك عَجاجَـةٌ ... وفى الأرضِ من وقع الأسنة أَوْلَقُ(١)

فأجابه الأحوص بقوله :

دَعِ القومَ ما حَلُّوا ببطن قُرَاضِمٍ ... وحيثُ تفشَّى بيضُـه المتفلِّقُ(٢)
فإنَّك لو قاربتَ أو قلتَ شُبْهَـةً ... لذى الحـقِّ فيها والمخاصمِ مَغْلَق
عَذَرْناكَ أو قلنا صدقتَ وإنما ... يُصدَّق بالأقوال من كان يصدُق
ستأبَى بنو عمرٍو عليك ويَنْتَمِى ... لهم حسبٌ فى جِذْمِ غسَّانَ مُعْرِقُ(٣)
فإنك لا عمـــرًا أباكَ حفِظتَه ... ولا النَّضْرَ إن ضَيَّعْتَ شَيْخَك تَلْحَقُ
ولم تُدْرِكِ القـومَ الذين طَلَبْتَهم ... فكنتَ كما كان السَّقاءُ المعلَّق

---

(١) الأولق : الجنون .

(٢) قراضم : موضع بالمدينة .

(٣) الجزم : الأصل .

بجِذْمة ساقٍ ليس منه لِحاؤها ولم يَكُ عنها قلبُــه يتعلق[١]
فأصبحتَ كالمُهْرِيقِ فضْلةَ مائه لبــادِي سَرَابٍ بالملَا يترقرق[٢]

قال : فخرج كثير ، فأتى الكوفة ، فرُمِى به إلى مسجد بارق . فقالوا له : أنت من أهل الحجاز ؟ قال : نعم . قالوا : فأخبِرْنا عن رجل شاعرٍ ولد زنًا يُدعى كُثَيِّرًا . قال : سبحانَ الله ! أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان ! قالوا : هو ما قاله لنفسه . فانسلّ منهم وجاء إلى والى الكوفة حسّان بن كَيْسان ، فطيّره على البريد . وقال عمر بن شبّة فى خبره : إنّ سُراقة البارقىّ هو المُخاطِب له بهذه الشتيمة ، وإنه عرفه وقال له : إن قلتَ هذا على المنبر قتلَتْك قحطان ، وأنا أوّلهم . فانصرف إلى منزله ، ولم يَعُدْ إلى عبد الملك .

***

٢ — وفى « الطبرى » عام ٦٦ هـ ، أن سراقة بن مرداس قال يوم جبانة السَّبِيع :

يا نفسُ إلّا تَصْبِرِى تَلِيمِى لا تتولَّىْ عَنْ أبى حَكِيمِ[٣]

***

٣ — وفى « المحاسن والأضداد » فى باب « محاسن الدهاء والحيل » البيتان الآتيان منسوبين لسراقة :

---

(١) الجذمة : القطعة . واللحاء : قشر الشجرة .
(٢) الملا : الصحراء . (٣) تليمى : تجلبى اللوم .

قَالُوا سُرَاقَةُ عِنِّينٌ فَقُلْتُ لَهُمْ ... اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي غَيْرُ عِنِّينِ (١)
فَإِنْ ظَنَنْتُمْ بِيَ الشَّيْءَ الَّذِي زَعَمُوا ... فَقَرِّبُونِي مِنْ بِنْتِ ابْنِ يَاسِينِ (٢)

***

(انتهت الزيادات بحمده تبارك وتعالى)

---

(١) العنين : الذى لا يقدر على إتيان النساء ، أو لا يشتهى النساء .

(٢) فى الشافية : « طلبتم » فى موضع « ظننتم » . و « ابن يامين » فى موضع « ابن ياسين » .

فهارس

ديوان سراقة البارقي

١ - فهرس الأعلام

٢ - فهرس الشعراء

٣ - فهرس القبائل والجماعات

٤ – فهرس المواضع

٥ – فهرس القوافى والأوزان

٦ - فهرس الموضوعات

٧ - فهرس تاريخ القصائد

التصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١٦	أتكذُّبنى	أتكذِّبنى
١٠	٦	تُقرِّبهُمُ	تَقَرّبِهِم
١٨	٢٣	تشفب	تشغب
١٩	١٧	إلا	إلى
٢١	١	بالدعر	بالذعر
٢٣	٢١	تُهيِّجُ	يُهيِّجُ
٢٤	١٠	تهذى	يهذى
٢٧	٢١	صمن	ضمن
٢٩	١٥	لعباس	للعباس
٢٩	١٨	و بعرأ	و يقرأ
٣٠	٧	ووذكر	وذكر
٣٢	٦	وانصل	واتصل

٣٢ سقط بعد السطر الثانى والعشرين هذه العبارة :

وفهرس الشعراء ، وفهرس القبائل ، وفهرس الأماكن ، وفهرس القوافى والأوزان .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٨	٢٠	عن	عنه
٤٩	٩	يحبَّ	يحبُّ
٥٠	٤	أنصرت	أبصرت
٥١	٥	الفرزوق	الفرزدق
٥١	٢١	الأصلية	الأصلين
٥٢	٤	قَراسية	قُراسية
٥٢	١٩	س	ش
٥٣	٧	حوادت	حوادث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٣	١٢	البارق « بطن »	الباق فى « بطن »
٥٣	١٧	الشديدة	الشدة
٥٥	٨	الرهوس	الرءوس
٥٩	١٥	الحذر حذر	الخدر خدر
٦٢	٧	الطَّوال	الطِّوال
٦٥	٧	بَريد	يُريد
٦٦	٤	تَفش	تُفش
٧٦	١٨	الأصلين	ص
٨٩	٢٢	الحارية	الجارية